د. مشعل بن عبد العزيز الفلاحي

صُنَّاع الحياة

سِيَر الخلفاء الراشدين



"هذه مساحة من تاريخك ونسبك وقصة مجدك، ونضال أجدادك في معركة الحياة."



دمشق


صُنَّاع
الحياة
سِيَر الخلفاء الراشدين



الطبعة الثانية

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدّة

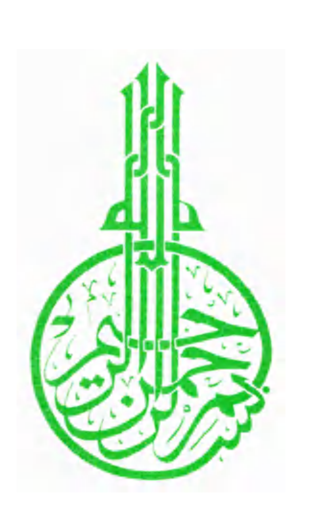
٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤





تـألـيـف
د. مشعل عبد العزيز الفلاحي


دار القلم
دمشـق





المقدمة



الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

فإن أمةً ضاربةً في أصول التاريخ حقيقةٌ بالشرف الأزلي الذي لا تموت فيه بموت قدواتها وأصحاب الرايات فيها.

إن حق الأمة على أجيالها أن يعيدوا صور نضال تلك الأجيال الغابرة في التاريخ حتى تكون منهجاً للحياة وموردا عذباً للقدوات.

لقد عاشت الأمة زمناً طويلاً وهي على هرم العز، ورايات المجد، ومشاهد الحياة، وخلّف زمن النبوة رجالاً مدوا في ذات



التاريخ وكانوا الواقع العملي لأثر تلك الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ، ففتحوا العالم، ومدوا في ذلك الضوء حتى أشرقت الدنيا بآثارهم.

وإن جيلاً بهذه الصورة لحقيق بالاحتفاء به، وإبراز معالم صوره، وإخراج مباهجه لشباب الأمة في زمن ضعفت فيه القدوة، وانحصرت فيه معالم التفوُّق إلى حدٍّ كبير، واستبدلت تلك القدوات بصور هَشَّة أراد لها الإعلام أن تكون في النهاية هي كل شيء.

إنني أكتب كتابي هذا (**صُنّاع الحياة**) بعد كتاب (**في ظلال السيرة النبوية**)، وكتاب (**حين أضاء الكون**) اللَّذَيْن تحدثت فيهما عن سيرة أعظم المصلحين، وأكثر القدوات أثراً في الحياة: سيرة رسول الله ﷺ، وخصصت هذا الجزء لسِيَرِ الخلفاء الراشدين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»، رغبة في إحياء معالم القدوة، وإثارة همومها، وتحديات واقعها في أجيال الأمة من جديد.

داعياً شباب الأمة وأجيالها وكُتّاب مستقبلها إلى قراءة هذه السِّيَر، والإمعان فيها، واستلال معالم القدوة منها،



والرحلة في الحياة من خلال معانيها، ومد آثارها لعل يوماً يعيد تلك الذكريات.

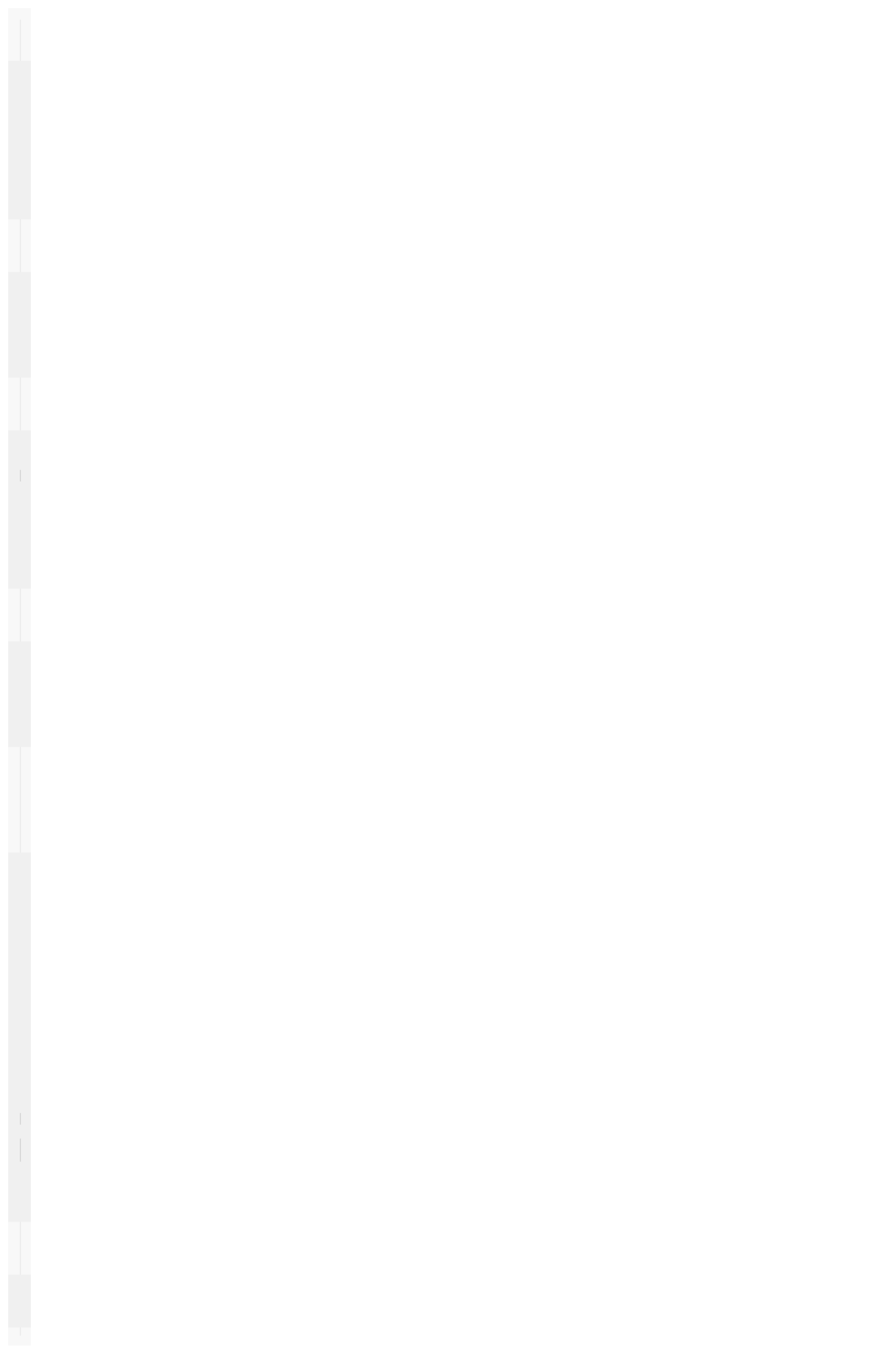
والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه الحول والطول، إنه على ذلك قدير.

كتبه

د. مشعل عبد العزيز الفلاحي

بلاد الحرمين، القنفذة، حلي

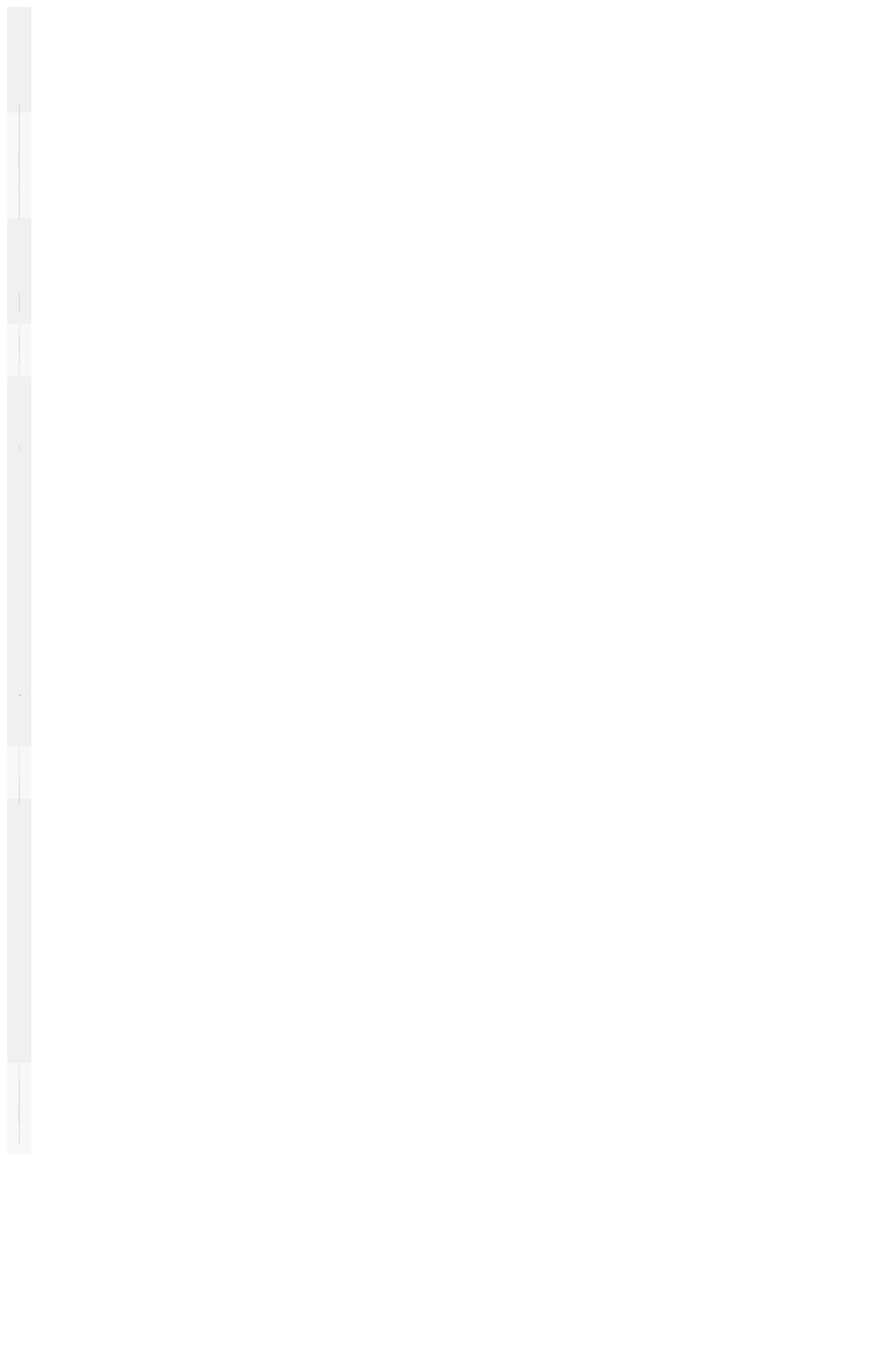
مساء الأربعاء ١٤٣٩/٣/١١هـ



أول الخلفاء الراشدين

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

- اسمه ونسبه وصفاته الخلقية.
- أسرته.
- الرصيد الاجتماعي في قريش.
- راية العلم.
- التجارة.
- طيب أخلاقه.
- عفته.
- إسلامه.
- رسالته في الحياة.
- الابتلاء.
- إدارة الأولويات.
- العيش للفكرة.
- مقوِّمات الصحبة.
- علمه.
- ثمن العلم.
- مواقفه.
- قصة الخلافة.
- قصة الردة.
- توسيع دائرة الدِّين
- قصة الوداع





اسمه ونسبه وصفاته الخلقية

هو عبد الله بن عثمان بن عامر القرشي التيمي، وكنيته أبو بكر، ولد بعد عام الفيل بسنتين وأشهر إلى ثلاث سنين.

وكان أبيض، نحيل البدن، خفيف اللحم، خفيف العارضين، أجنأ (أي: فيه ميل في ظهره) لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، يخضب لحيته وشيبه بالحناء والكتم.

❁❁❁

• الأسماء دلائل على أصحابها، ولا يحتفل فيها بشيء، وهي من حقوق الأبناء على آبائهم، **وليس في شريعة الله تعالى أن من بر الوالدين التسمية بهم؛** خاصة إذا كانت أسماؤهم لا تناسب عصر الأبناء ولا تليق بهم، وتكون مسبة لهم مع الزمن، ويعيرون بها في قادم الأيام، فإن ذلك نوع من الظلم يجب أن يتنزَّه عنه

الآباء. وعبد الله وعبد الرحمن من أحب الأسماء إلى الله تعالى.

• ما تزال هذه الأمة بين الإفراط والتفريط، مضى زمن كان الواحد يسمي بأبيه وأمه وأجداده، وهي أسماء لا تليق في بعض الأحيان وتحتاج إلى تغيير، فإذا بهم يمدُّون فيها ويظلمون أولئك الأولاد بها في زمان غير زمانهم، ثم وعت الأمة وتفقَّه أجيالها، **فتركوا تلك الأسماء وانحرفوا إلى أسماء أجنبية** بما تجزم أن بعض المجتمعات ستصبح ذات سمة أجنبية بحتة مع الأيام، **وكلا طرفي الأمور ذميم**.

• (**وكان أبيض، نحيل البدن، خفيف اللحم**) ومتى كان الإنسان بجسده ولحمه ودمه؟! متى كان الإسلام يحتفل بالصور والأجساد؟! وهاهو نحيل البدن يصنع للأمة تاريخاً، ويهيض عليها أفراحاً، ويدفع بها لعناق آمالها الكبار؛ **فما لنا وللصور إذا صلبت الإرادة**، وقامت التحديات في نفوس أصحابها تُصارع واقعها، وتكتب حظها، وتبعث بآمالها في العالمين؟!.

وفي (صحيح مسلم): من حديث أبي هريرة، قال ﷺ: **«إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**.



وإن أمة تقيّم أفرادها على الصور؛ لتكونن حثالة الأيام ومستنقع التاريخ!.

• كم يُبذل اليوم على الأجساد في مقابل الأرواح!..

كم يبذل علــى الماديات مقابل ما يبــذل على الأفكار والمفاهيم والتصورات!.. كم هــي الأوقات المصروفة على صورنا وأجسادنا!.. وكم هي الأوقات والأموال المبذولة على أفكارنا وعقولنا!..

عدد كبير من شــبابنا اليوم ينفق مالاً ووقتاً وفكراً ومشــاعر على طريقة قص شــعره وترجيله وتزيينه والعناية به، وقد لا ينفق في المقابل على العناية بعقله وقلبه شيئاً.

ما أحوجنا إلى إعادة ترتيب سـلّم الأولويات في هذه الجوانـب! ما أحـوج شـبابنا إلـى إدراك أسـرار الحياة والغايات التي جاؤوا من أجلهـا! **من حقك أن تجهد على جمالك وأناقتك، والإســلام لا يحارب هذا المعنى في الأصل، ولكن من حق نفسك عليك في المقابل أن تحتفل بفكرك وتبنيه بشتى الوسائل؛** حتى يشارك في نهضة الأمة، ويقوم بدوره في تأهيلها للحياة.

- **لونك الذي خلقك الله تعالى عليه لا يعني شيئاً في تاريخك، ومثل ذلك طولك وقصرك، ونحالتك وضخامة جسـدك**؛ كل هذه لا تُمكّن إنسـاناً من بناء مجده، وكتابة تاريخه، ومناهضة واقعه..

كم من أسود خلّف مساحات الربيع في واقع أمته!..

وكم من أبيض جميل لم يستنقذ نفسه من النار فضلاً أن يكون صاحب مجد وعز! ومن قال لـك يوماً: إن التاريخَ فَرْعٌ عن الأجساد طولاً وقصراً أو نحالة وضخامة؟!.

كان **عطاء بـن أبي رباح** أعور أعرج أفطس أشـل، وكان الملوك ينادون في أرجاء مكة: لا يفتي فيها إلا عطاء! وكان **أبو لهب** وضيئاً جميلاً يكاد يشـرق وجهه، وذهب حطباً لنار جهنم في النهايات.

- يا أيها الشـباب، يا أجيال الأمة، ويا صنّاع الحياة؛ أدركـوا أنفسـكم، وتعرّفوا علـى أولوياتكـم، وأقبلوا على مجدكم؛ **فالتاريخ صناعة**، وعلى قدر ما تَهَبُون من أوقاتكم وأموالكم ومشـاعركم للقيم الكبرى، على قدر ما تجدون تلك المعاني أوعب ما تكون.

- **تاريخ ميلادك لا يعني لك شـيئاً، وإنما المساحة بين هذا التاريخ وتاريخ وفاتـك ورحيلك عن الدنيا هي**

التي تصنع فارقاً بهيجاً في واقعك، ليس مهمّاً متى ولدت؟ وأين كان ذلك الميلاد؟ المهم ما الأحداث التي عمرت بها هذه المساحة؟ وماذا تركت من ذكريات تتحدّث بها الأجيال بعد رحيلك من الحياة؟.

• **كل الناس وُلِدوا لا يملكون شيئاً من مباهج الحياة**، وقد قال الله تعالى في هذا المعنى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

وقدرك في الحياة على قدر استثمار هذه الوسائل التي أمدك الله تعالى بها في الحياة.

وإذا سألك أحد من العالمين عن هذا التاريخ؛ فقل له: يكفيك أن ترصد أحداث مشروعي، وليس من شأنك السؤال عن ذلك الفراغ والهامش في حياة إنسان!..

• **بيئتك التي ولدت فيها، ونشأت في ربوعها،؛ هي كذلك لا تغني عنك شيئاً**، كم من مولود في المدينة والحاضرة وأماكن العلم ووهج الحضارة هو اليوم هامش لا قيمة له، والحضارة التي تنفّس فيها أول وهلة



لم تلقنه درس العناء مبكراً؛ فعــاش مترفاً غير مدرك لغمــار التحديات، ونشــأ كذلــك، وهاهو فــي صفوف الجماهير لا يغني لنفسه شــيئاً فضلاً أن يكون راية في تلك الساحات.

وثمة كبار ولدوا في قرى نائية وظروف صعبة ومواقف حرجة، ورفضوا أن يخضعوا لهذه الظروف، أو يحتجوا بها، وقاموا مناهضين لكل ذلك الواقــع، وحملوا راية العزِّ وما زالوا بها، حتى صعدوا فضاء المجد متمرِّدين على كل تلك الظروف العارضة في الطريق.

- **بيئتك التي ولدت فيها لا تُبَوِّئك مجداً، أنت وحدك بهمتك ومشاعل الهداية والتحديات في قلبك وضميرك تســتطيع أن تجعلها طريقاً لمجدك،** وســاحات لتراثك الكبير في مستقبل الأيام.

- **من فضلــك عرّفنــا عليك من خــلال همومك وتاريخك، دعنا نقرأ ســيرةً ناضلتْ من أجل مستقبلها، ورفضت أن تبقى في هوامش الأحداث،** وأغارت على ذلك الواقع الذي تعيش فيه؛ فألبسته حلل الحياة، وبددت ظلامه المستطير في تلك المساحات.



صدقني أنت الذي تقرأ حرفي هذه اللحظة قادر على كل تلك الأماني، وفي إمكانك أن تسطّر لأمتك وواقعك ما تضيء به حياة الأجيال.. ولك في هذا النحيل الذي يدخل من أبواب الجنة الثمانية كلها يوم القيامة قدوة وأسوة.







أسرتـه

والده: عثمان بن عامر، يكنى بأبي قحافة، أسلم يوم الفتح وبايع رسول الله ﷺ .

وأمه: سـلمى بنت صخر، وكنيتها أم الخير، أسلمت مبكراً رضي الله تعالى عنها وأرضاها.

وتزوج أربع نسوة أنجبن له ثلاثة ذكور، وثلاث إناث.

❁ ❁ ❁

• **اسمك وأسـرتك وقبيلتك لا شأن لها بتاريخك في شيء.** وقد قال الأول:

ليس الفتـى مَنْ قـال كان أبي   إنَّ الفتـى مَنْ قال هـا أنذا

اسـمك إن لم يكـن لائقاً يمكنـك تغييره، وقـد غيّر النبي ﷺ أسـماء كثيرة وأوصى بذلك بعضاً من صحابته، فامضِ إلى ما تريد في هذا الشأن.

• لا تعلّق آمالاً على أسرتك، وقبيلتك، وبيئتك أو تنسب لها شـيئاً مـن تقصيـرك.. **الكبـار لا يلقـون بتبعات**

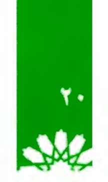
المسؤوليات على أسرهم وقبائلهم وبيئاتهم، وإنما يصنعون أنفسهم كما يشاؤون، ويكتبون حظهم من التاريخ كما يريدون، ولا يبرحون ساحات المجد حتى يلغوا كل الظروف العارضة في الطريق.

هذا الكبير خرج من أسرة كافرة، ومجتمع ضلَّ الطريق، ورفض أن يؤجّر عقله لأسرة أو يعيش في مجتمع الضلال، فإياك أن تلقي بشيء من التبعات على هذه الأوهام.

• كثيرون يُعْزون تأخرهم إلى أسرهم وبيوتهم، وفاتهم أن **المجد صناعة**، والعقبات التي تعرض مجرد اختبار لقدراتنا، والنفوس إذا آمنت بما تملك من قدرات ومواهب وإمكانات صنعت واقعها كما تريد. فامضِ إلى طريق عزك، ولا تقف متوهماً، وإياك والالتفات إلى بنيات الطريق.

• **صنّاع الحياة يبدأ أثرهم من بيوتهم**، وتتوهج تلك الأسر بمعالم الدين قبل أن يأخذ حظه من غيرهم، وكل أسرة هذا الكبير أسلمت وحَسُنَ إسلامها، وقد قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**».

وكم من بيت وأسرة شربت مَعِيناً صافياً من أبنائها، ورأت الدين صورة حية في واقعهم، فأقبلت تتهادى إلى دين



الله تعالى، وتشـرق من أثر ذلك الدين قبـل العالمين.. والقدوة تصنع فروقاً في المساحة التي تعيش فيها.

• **الدعـاة، وصُنّـاع الحياة، وأصحاب المشـاريع؛ يبدؤون رحلتهم أولاً من بيوتهم**، وتُشرق بهم الحياة من وسط تلك الأسـر التي نشـؤوا فيها، ومن لم تبلغ سلعته مداها في بيته لم تلقَ ترحاباً خارج تلك الأسوار.

نافذة الحياة المشـرقة تبدأ من هنـا، وبابها الكبير يبدأ من هذا المعنى، وكل رحلـة لا تبدأ خطوها من هذا الطريق فلا مفروح بها في قادم الأيام.

• **ما أحوج البيوت إلى قدوة يدلها على الطريق بخلقه وأدبه، وجمال مشاعره، وتفوُّقه على مغريات الحياة.**

وفي واقعنا أفراد يتمثلون الهدي ظاهـراً ولم يهنأ بهم أهلهم في شيء! كلما جاء اجتماع أو لقاء شكوا واقع أسرهم، وأبدوا قلقهم على بُعدهم عن دين الله تعالى، وإذا استعرضت سـيرهم مع أهلهم وذويهم ملـكك العَجَب إلـى أبعد مدى؛ ينظّرون لقضايا لا أثر لها في واقعهـم، وقد تحوّل في بيته إلى آمر ناهٍ، وظن أن ذلك هو الدين.

وقد قال الأُول: إنك تملك أن تأخذ بزمام الحصان إلى الماء، ولكنك لا تملك إرغامه على الشراب.

ولو أن هذا تمثّل بعض أخلاق نبيه في بيته لرأى صور الربيع تتهادى في مساحته، ولأقبل على هتاف الحقائق في واقعه كما يشاء.

القدوة يا أصحاب المنهج إذا أينعت في واقعكم؛ أقبلت بالقوم يشربون من آثارها لا يبالون.

• تزوج رضي الله عنه بأربع نسوة، ودخل من أبواب الجنة الثمانية، **والزواج عون على الحياة، وما عُرف هذا النزاع والشكوى من الزواج وآثاره السلبية على مشاريع الإنسان إلا في مثل أزماننا هذه!** وإن كان في الواقع من روّاد البناء من تزوج أربعاً وذهب يُسعد العالمين برسالته ومشروعه في الحياة.

• **الزواج مساحة فرح، وساحات أنس، وهو عون على رحلة المشاريع والبناء والتحديات في واقع صاحبه**، وكم من قاعد في الطريق من الزواج! والشكوى تملأ زمانه، وما زال يترنّح عن جزء كبير من واجباته.

وما هذا التنازع إلا سوء توفيق، أو ضعف إدارة، أو خلط في الأولويات.. ومن تبوَّأ مكاناً ليس له كانت الشكوى بضعة منه، والله المستعان!.

***

٣ الرصيد الاجتماعي في قريش

كان رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ في الجاهلية من وجهاء قريش وأشـــرافهم وأحد رؤسائهم، وهو نجدتهم في النائبات، وله ضيافات في تلك الحقبة من الزمن.

***

• كان رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنهُ رأســاً في بيوت قريش، وقَلَّ أن تجد تاريخاً مشرقاً لصاحبه إلا وله أصل! **وما كبير في قومه إلا وهو صاحب مقام، وما هتاف ذكر لإنسان إلا من وراء أحداث،** والصيت المتوهج في الأرض له أصل.

• **خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام، هذا هو أصل الحكاية**، وكم من كبير هناك أضاف للحياة شـيئاً بهيجاً حين جاء! وكـم من هامش هناك لـم يزد التاريخ شــيئاً حين جاء! رأيت مــن عاش قويّــاً شــديداً في أيام

جاهليته، ودفع بالباطل إلى حيث يشاء، ثم حين عاد وجاء الله تعالى بقلبه صنع تاريخاً، ووسّع مساحة، وأبهج العالمين، وكان علماً في الحياة.







رايــة العلـم

وكان رضي الله تعالى عنه عالماً بالنَّسَب وأخبار العرب، وله في ذلك باع طويل، وأســتاذ النسَّــابين في هذا الشأن، ولم يكن يعيب الأنســاب، ولا يثلب أحداً مــن العالمين، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : وهو أعلم قريش بأنسابها.

***

- **كان رضي الله تعالى عنه عالماً بالنســب، والعلم رأس كل شــيء، وقاعدته، وكــم طوى الجهل من ذكريــات!** وإذا لم يكن للإنسان راية في علم، أو شــأناً في تخصص، أو مهارة في مجال؛ فلا مفروح به في شيء. كم أودى الجهل بكثيرين كان يمكن أن يكونوا شيئاً لولا شؤمه وسوء أثره على صاحبه.

- **صناعة الأحداث فرع عن العلــم،** وأعظم مقومات التأثير في كل ســاحة أن تحمل ســراجاً تبدد به الظلام، **والناس في العادة لا تلتفت لمن حولها إلا إذا كان يملك**



شيئاً يمنح به من حوله الحياة. وقلَّ أن تجد هامشاً نقطةَ ارتكاز في واقعه، ومن لا يملك شيئاً لا يستحق الاهتمام.

- **كان سراج أبي بكر رضي الله تعالى عنه الذي يبدد به الظلام في تلك الحقبة: العلم**؛ فقد كان أعلم قريش بأنسابها، وهذا هو التحدي الكبير.

ومن شأن قارئ هذه السيرة أن يسأل نفسه: ماذا يملك؟ ما الذي يتميّز به على من حوله؟ ما السمات الشخصية التي لا تتوافر إلا فيه، ولا تكاد توجد في سواه؟ وإذا وجد الإنسان شيئاً يتفوّق به على من حوله أصغت له الآذان، وأقبلت إليه القلوب، وتكسّر كبر الجاهلية أشلاء على تلك المنح التي يُجْهز بها على أسراب الأوهام في واقعه.

- **ومن لطيف ما لدى هذا الكبير: أدبه في حمل راية العلم**، فلم يتخذ من علمه متكأً لتجريح الآخرين ولَمْزهم، مع أن في ذلك الفن الذي تميّز فيه ما يغري بمثل هذه الهوامش! وإنما مضى عفيف اللسان عن كل ذلك، **وإذا لم يهدك علمك إلى الورع، ويسير بك في دروب التوفيق، ويعينك على حفظ جوارحك؛ فلا مفروح به في الحياة.**

• **مشكلتنا مع المواهب التي أمدنا الله تعالى بها وفتح علينا التوفيق فيها أننا نسيء استخدامها**، ونوجهها في غير ما ينبغي أن تكون فيه، ولا نوظفها التوظيف الأمثل، وتكون هذه المواهبُ في مرات كثيرة أعباء علينا وأوزاراً، والله المستعان!..

كم من كِبْر نفخته تلك القدرات والمهارات والإمكانات في نفوسنا، وتطلَّعْنا بها ومن خلالها للاستعلاء على من حولنا، وأورثَتْ في قلوبنا الحسد، وخلقت في حياتنا تصوُّرات ليست لنا ولا ينبغي أن تكون لأمثالنا.

رأيت من مكّنه الله تعالى من علم وفن وتخصص، فمضى يكاثر به في غير الصالحات، وعارض به منهج الله تعالى في مرات، ولم يحسن توظيفه في الطريق الأمثل في الحياة فخسر مرتين: مرة حين لم يوظفه التوظيف الأمثل، وأخرى حين استعمله في غير طاعة.

❁ ❁ ❁





التجــارة

وكان رضي الله تعالى عنه تاجراً في جاهليتـــه، ودخل بُصرى من أرض الشـــام للتجارة، وارتحل بين البلدان، وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، وكان ينفق من ماله بســـخاء، وعرف بين قومه بالكرم.

❁ ❁ ❁

• كان رضي الله تعالى عنه تاجـراً، ونعم المال الصالــح في يد العبد الصالح، **كم من مباهج صنعها المال في يد هذا الكبير!** وكم من أثر تركه في الحياة! وفي تبوك قال صلى الله عليه وسلم له: «**كم أبقيتَ يا أبا بكر لأهلك؟**».

قال: أبقيت لهم اللّه ورسوله!.

والإيمـــان ينقل الأمـــوال من قلـــوب أصحابها إلى أيديهم، وكم من مال وسّــع في آمال الأمة، ودفع بهمومها، وصنع لها مساحات ربيع في واقعها!.

- **لو لم يكن في المال إلا أنه عفَّ أيدي أصحابه عن السـؤال لكان كافياً** في زمن كثرت فيه متطلبات الحياة، فاضطر كبار وهم في عمق العمل والإصلاح ورايات النهضة إلى مد أيديهم لظروف الحياة!.

- **تعاني اليوم جملة كبيرة جدّاً من الأجيال من تخلّف في مسـألة الأموال، وعدم توازن، فأربكها في كثير من مسـاحات حياتها،** وولّد لديها شـعثاً، فبـدأت تتخلى عن مشاريع الإصلاح ورايات البنـاء، وتبحـث لهـا عـن مصـدر آخر للرزق، فخسروا أشـياء كثيرة من أهمها المشاركة في البناء، وقعدوا فـي بيوتهم بهذه النية، أو دخلوا مشـاريع لا تخلو من المحرمات فأودت بهـم إلـى الضـياع أو تكاد!.

- **تنحصر مساحات التفوّق المالي في حياة الأجيال؛ فلا تكاد تجد منتجاً ناهضاً ولديه مال!** وما زالت الأمة تتشـوّف إلى أجيال تسـتطيع أن تحمل شـرف خدمة هذا الدين، وتقوم بواجباتـه، وهي في الوقت ذاته غنية عن أن تمد أيديها للسـؤال يوماً ما لأحد من العالمين. وإن صبح ذلك إن شاء الله تعالى لقريب!.

❁❁❁



طيب أخلاقه

وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه طيّب الأخلاق في قومه؛ يحبونه ويألفونه، ويعترفون له بالفضل والخلق، وقد قال ابن الدغنة حين لقيه مهاجراً ما قالته خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين عاد خائفاً من الغار: إنك لتزيِّن العشيرة، وتعين على النوائب، وتكسب المعدوم، وتفعل المعروف.

* * *

- **الكبار يَألفون ويُؤْلفون،** وقائدهم نبيهم صلى الله عليه وسلم صلى جالساً في آخر حياته بعدما حطمه الناس.

وفي الحديث: «**خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**»، وإن رجلاً يتحدّث عنه العدو حين لقيه مهاجراً قائلاً: «إنك لتزين العشيرة، وتعين على النوائب، وتكسب المعدوم، وتفعل المعروف» حقيق بصناعة الأفراح!.

- **لا أعـــرف لامعـــاً مؤثّـــراً طـــارداً للظلام في المساحات التي يعيش فيها إلا وهو من أولئك الذين منحهم الله تعالى شـــيئاً من الأخلاق!..** ولم أرَ بعد مؤثِّراً منزوياً في مســـاحة، وكريم أخلاق لا علاقة له بروح الجماعة!.

وقد قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ : **من ســـبقك في الخلق فقد سبقك في الدين.**

وإذا لم تبسط مســـاحات الربيع في واقعك فلا حاجة لذلك الواقع بك، وكلٌّ يحسن أن يمد في الصحراء!.

- يجب أن يتحلى الكبار والمؤثرون بهذه المعاني حتى يتمكنـــوا من خدمـــة دينهم، وبســـط مســـاحات التفوّق في واقعهم، ومد الجســـور الكفيلة ببناء قضايا هذا الدين في الواقع الذي يعيشون فيه.

ماذا يُنتظر من مصلح لا يملـــك روحاً جاذبة، ولا قلباً كبيراً، ولا يســـتطيع أن يغري من حوله بمساحات الأخلاق في واقعه؟!..

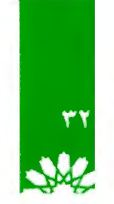
الحياة رســـالة، والأخلاق هي الطريق الأوسع لبناء هذه الرسالة في واقع الحياة.



وأسوأ الأخلاق خلق الأنانية، وأن يعيش الإنسان لذاته، وتراه يصنع كل شيء ولا علاقة له بشأن الأمة وتاريخها وهمومها في الحياة.

تقاربوا أيها الكبار، وافسحوا للناس من حولكم في قلوبكم، وهبوهم من مشاعركم، وألقوا إليهم بمباهج الحب، ودعوهم يفقدونكم في كل غياب، ويسألون عنكم في كل مشهد من مشاهد الحياة.







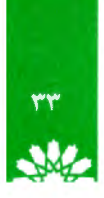
عفتـه

كان أبو بكر رضي الله تعالى عنه أعـــفَّ الناس في الجاهلية؛ حتى إنه حرّم على نفسه الخمر قبل الإسلام ولم يشربه، وحين ســـئل عنها، قال رضي الله تعالى عنه: كنت أصــــون عرضي وأحفظ مروءتي، ومن شرب الخمر كان مضيعاً لعرضه ومروءته. ولم يسجد لصنم.

***

- لم يشـــرب رضي الله تعالى عنه الخمر فـــي جاهليته، ولم يســـجد لصنم، **وللكبار بدايات تنم عن مستقبل النهايات، وكم من بكور صنع الفرح عند الختام!.**

ومن لطيف هذه الشـــخصية أنها تحكي القدوة تماماً، وترسم معالم العمل والتحديات في باكر عمرها، وكم من فجر لاح قبل أوانه.



- **الانتكاســـات المبكرة ثالبة لمقام صاحبها في النهايات**، وتظل كالعقبة الكؤود كلما حاول أن يرســـم طريق مجـــده ذكروه بســـالف الأيـــام، وإن كانت عند الكبار لا تمثّل شيئاً ولا تقف عارضة عن الوصول، ولكن من تمام التوفيق أن يكون التاريخ ناصعاً من فجره لامعاً من بداياته.

- وللزمن أثر، وللجاهلية وطأة فـــي زمانها، وقد يجد الإنســـان ألف عذر لتلك الأيـــام الخوالي، ولكـــن المؤلم والحاجب دون أحلام صاحبه ما يأتـــي من أخطاء ومثالب ومواقف ســـوء في أيام الإسلام وإشـــراق الحياة وبعد قطع مسافة كافية من الطريق، ومثل هذا لا يكاد يمكِّن صاحبه من بلوغ مجد إلا أن يشاء الله تعالى.

المهـــم أن تظل خطـــوات رحلتك بعد شـــروق شـــمس الاستقامة خالية من كل شـــبهة، ونظيفة من كل تهمة تلوّث صاحبها وتعيده لمستنقع الجاهليات.

كم من كبير قيدتـه الخطيئـة، وجعلتـه يرســـف فـي قيود الجاهلية، وهدمت صروحاً من المجد كادت أن تكون!.



- **مشكلتنا الكبرى ضعف القدوة، وذبولها في تاريخ صاحبها**، وقد تجد مستقيماً لا إشـــراق لروحه، ولا مباهج من نعيم الهداية على وجهــه، وتلقاه ضامر الروح، ضعيف الأثر، قليل الجاذبية، حتى إنك لا تكاد تلمح شيئاً آسراً في تلك الحياة.

تلقى بعضهم فتشـــرب من روحه وصورته ومعالم وجهه حتى تُروى، وتلقى آخرين وتتمنى أن لو جاد الزمان بستره عنك حتى لا تفجعك مواقف الحياة.







إسلامه

أسلم أبو بكر رضي الله عنه أول ما دعاه النبيُّ ﷺ لهذا الدين، واعتنقه مؤمناً به، وعاهده رضي الله عنه على النصرة، وقال ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟».

فكان أول من أسلم من الرجال. وسُر النبي ﷺ بإسلامه.

❁ ❁ ❁

• **القلوب الكبيرة تستجيشها دعوات الخير من أول** وهلة، وتأتي بها إلى الطريق من أول محاولة؛ ذلك لأنها لا ترضى الجاهلية، ولا تجد لها شغفاً يلامس أرواحها، وتشعر فيها بمكابدة الروح لغير ما خُلقت له، وأول ما تجد ضوءاً في الطريق تتمسّك به وتسير في فلكه إلى عالم الأحلام.



- **قــلَّ أن تجد طاهراً ممســكاً بعنــان الجاهلية، ومرابطاً على المعصية بعد بلوغ الحق إليه.**

والكبار وإن وقعوا في شــهوة أو سقطوا في حضيض معصيــة أو اكتووا بنار الخلــوات يومــاً ما؛ تجدهم أول الأفواج العائدة إلى حياض الطهر والعفاف.

- **القلوب الصافية لا تكاد تســتريب في الحق الذي يأتيها**، وتفرح به، وتراه الحيــاة، وتقبل إليه، وتحتمل كل شيء في سبيله، وما تزال تَرِدُ به إلى المعالي حتى تستوثق من الطريق، **بخلاف القلوب المترددة الشــاكة؛ فتقضي عمرها في ظلام الشــك والريب**، فلا تقوى على الخطوة الأولى، وتموت وهي عاجزة عن بلوغها أمانيها.

- **الحق بيِّنٌ واضح، ولم يبقِ الوحي شــيئاً من عتمة الظلام**، وإذا جاءتــك فكرة أو رأي أو شــيء فحاكمه إلى الوحي، أو أَلْقِ به إلى طالب علــم؛ فإن بانت فيه الحقائق فأسرج به ليلك وعتمة طريقك، ولا تَبْقَ أمام أنواره متردِّداً متوهِّماً؛ فإن ذلك سبيل العاجزين.

كن كهذا البطل الذي أقبل حين سمع الحق، وخاض رحلة الحياة مــن أول كلمة، وصنع مــن أول المواقف غايات الفالحين.

- كثيـــرون تُعرض عليهم الاســـتقامة، ويبـــان لهم عن مباهجها، وتعـــرض عليهم فرص التفـــوّق، ويقتلهم التردد وحساب عوائد الأوهام، ويموتون أو تموت آمالهم دون تلك المعاني الكبار! **وما حاجتنا اليوم لشيء حاجتنا لمواقف الإقدام التي صنع منها هذا البطل قصة التاريخ**، وقضى على أوهام قريش كلهـــا، وألقى بها من أول وهلة في عرض الطريق، وأقبل يشـــرب من ماء الحياة كما أراد هو لا كما أراد له الأدعياء.

- سُـــرَّ النبي ﷺ بإســـلام أبي بكر رضي الله عنه، ومن لا يُسر بعون الكبار؟! وقد قال ﷺ : «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر**».

والبدايات لها رجال، وأثقال الأمة تحتاج إلى مبادرين. **وكم من متردد جاء في النهاية، أما هذا فقد استنشق هواء الحرية مبكراً، ورفـــض أن يكون عبـــداً للجاهلية** أيام نشـــوتها؛ فكيف وقد جاء النور الماحي للظلام من أصله! من ذلـــك الزمن إلى يومنا هذا **ســـتظل حاجة الأمة إلى المبادر كحاجتها إلى الهواء الذي تتنفّس به**، وما تنفّست الأمة يوماً هواء حريتها كما تنفّست على رايات المبادرين! كم مرة حملنا نعـــش الأمل على أكتـــاف الباردين! وصدق حسان رضي الله عنه وهو يروي مشهد البدايات:

إذا تَذَكَّرْتَ شجواً من أخي ثقةٍ فاذكرْ أخاك أبا بكرٍ بما فعلا

خيرَ البريةِ أتقاها وأعدلَها إلَّا النبيَّ وأوفاها بما حَمَلا

والثانيَ التاليَ المحمودَ مشهدُه وأولَ الناسِ منهم صدَّق الرُّسُلَا

***





رسالته في الحياة

أسلم رضي الله تعالى عنه وحمل لواء الدعوة إلى دين الله تعالى بكل ما يملك، ولم تنزل راية هذه الدعوة في حياته أو تتوقف حتى ودّع الدنيا، رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

❁ ❁ ❁

- **ما أكثر الصالحين في واقع الأمة! وما أقل المدركين لواجبات هذا الصلاح، الناهضين بأحماله في واقع الحياة!.**

كم هي أعداد المسلمين! وكم هم الحاملون للواء الدعوة من تلك الجموع! وما تغني هذه الجموع إذا كانت باردة بلا هم، وقاعدة بلا هدف! كم من فرد في صفوف هذه الأمة يعدل فئاماً من الخلق اليوم! والأفكار الناهضة لا تقوم إلا على عواتق الكبار.



• **من الذي أقنع أجيال هذه الأمة بأن الاستقامة تعني الصلاح الذاتي ولا علاقة لها بهموم الإصلاح والتغيير والبناء؟!** وهم يقرؤون حديث زينب في سؤالها لرسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**».

ويقرؤون في مقابل هذا الحديث قول ربهم تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧].

ما حاجة الأمة إلى شيء حاجتها إلى ناهض يسعى بدينه ورسالته، ويروي ظمأ العطاش في كل حين.

• **كثيرون يسمعون الحديث عن الإسلام وخدمته، ويظنون بأنهم يتركون كل شيء من أجل ذلك..** خدمة الإسلام قد تكون من بيتك ومن خلال أسرتك، وفي حيك ومسجدك، وفي وظيفتك، أو بما تحمل لدينك من هموم.. **الإسلام يحتاج فرداً يشعر به ويجري في دمه، أما أين يخدمه وكيف، فتلك تعود لذات الإنسان وهو فيها صاحب القرار.**

• **ثمة أناس خدموا دينهم وهم مرضى لا يستطيع** الواحد منهم الحِراك عن سريره، ونهضوا به وهم على أسِرَّتهم، وبلّغوه للعالمين وهم في أثواب المرض وظروف الحياة.

• **أسلمَ مِنْ أَثَرِ دعوتِهِ ؟ ساداتُ الإسلام، وكبار تلك المرحلة، وروّاد مستقبلها الكبير:** الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن مظعون، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، والأرقم بن أبي الأرقم، والواحد من هؤلاء عن فئام! ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْرِ النَّعَم؛ فكيف بكل هؤلاء؟! **والاستثمار في أوقاف الحجر يبقى زماناً طويلاً؛ فكيف بالاستثمار في الإنسان؟!.**

• **كل فرد من هؤلاء يكفي أمة، والواحد منهم يكفي تاريخاً! فكيف بهم جميعاً في ميزان هذا الكبير في يوم الحاجات؟!** لله ما تصنع همم الرجال في واقعها! وما تكتب من حظوظ في مساحاتها، **وليردن كل إنسان يوم القيامة على أمانيه.**

• **لا تدري ماذا تقرأ في هذه الشخصية؛ البناء الإيماني** الذي كان يستوعب تفاصيل يومه، أو **هذه النهضة في تبليغ دين الله** تعالى وتوسيع دائرته وشؤونه في الحياة.

وكم من صالح لا يخرج من بيته! وكم من مصلح يجوب الأرض وينشغل عن بنائه ودوره مع نفسه وأسرته!

والتوازن عزيز، وأرباح هذا الشهم فوق تصورات الإنسان في كل شيء.

• **استطاع** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن يوظّف طاقاته وقدراته وإمكاناته في سبيل مشروعه الكبير**، وكان صاحب جاه فاستقطب الكبار والمؤثِّرين، ومكَّنه اللّٰه تعالى من المال فذهب يفك به أسر العبيد والمماليك، ويدفع بهم إلى مساحة الإسلام، ونزل قول اللّٰه تعالى يبارك هذه المسيرة العطرة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

ويكفي هذا البرهان عن كل دليل.

وكم من مال في يد كثيرين لم يفسحوا به في بيوتهم، فكيف يفسحوا به في رحاب الإسلام! **فرق كبير بين جاه ومال يستثمرهما صاحبهما في مد مساحات الربيع، وآخر يجمع جاهداً لعاديات الزمان في زعمه، فيموت ويتركها للعابثين.**

❁ ❁ ❁





الابتـلاء

١ ـ ابتُلي رضي الله تعالى عنه وأوذي، وحُثي على رأسه التراب، وضُرب بالنعال حتى ما يعرف وجهه مــن أنفه، وحُمل إلى بيته وهو ما بين الحياة والموت؛ وذلك حين قام رضي الله تعالى عنه خطيباً بين المشركين في بدايات الدعوة وباكر الإسلام.

❁ ❁ ❁

• **ولدت الدعوة حيةً في قلبه رضي الله تعالى عنه، فقام بها في واقعه، وأراد أن يبسط آثارها في محيطه**، وحاول بكل ما يملك أن يمد في مساحات دينه ومنهجه ورسالته في واقع المعرضين، وكذلك يصنع الأحياء!.

• **كان رضي الله تعالى عنه يفقه دوره ومساحة الممكن لديه، وهذا هو الفن الغائب في مثل زماننا**؛ من أنا؟ وما أملك؟ وما دوري؟ وما المساحة التي أستطيع أن أجعلها ربيعاً مع الأيام؟.

مشـــكلتنا الكبرى أننا نغرق في النقد في مساحات غيرنا، ونرصـــد أخطاءها بإمعان، ونحســـن فيها التوجيه بكفـــاءة، وتمضي أوقاتنـــا ونحن في مســـاحات الهوامش والفوضى، وتموت الحياة من واقعنا في كل مرة، ولا نحسن سوى الفرجة.

- **ثمة أفراد يصنعون فرقاً في واقعهم، فيغيظون العدو، ويحاصرون مشروعه**، ويجهضون فكرته، وهو حين يراهم يصنعون ذلك يمـــوت غيظاً وكمداً، ويجهد في المواجهة بكل ما يملك!..

لم يحدث أن وقف العدو متفرجاً أمام فكرة ناهضة ومشـــروع إصلاح، وإذا رأيته لم يتحـــرك أمام مباهج الحق وأنـــوار الفضيلة فاعلم أنه هُزم نفســـيّاً ولم تعد لديه القدرة على المواجهة العلنية أمام الجماهير.

- لقد حرص الصِّدِّيق ﵁ على إعلان إسلامه والفخار به، ورَفْع راية الحق، والخروج بها سافرة في المساحة التي يعيش فيها، **وإذا لم يمنحـــك هذا الدين وهج القوة وروح الاستعلاء فهو إيمان بارد لا حياة فيه لأهله، فكيف يكون حياة للآخرين؟!**.

الحق لا يمكن أن يتمكن من الواقع حتى يخرَج سافراً في شعابه، ويُعلن عن وجوده، ويرفع رايته، ويصر على بقائه فيها دون غيره.

والإسلام الضعيف الوهن لا يثبت في قلوب أصحابه؛ فضلاً أن يبسط واقعاً أخضرَ في الصحاري الممتدة بالجهل!..

- **كثيرون المعمّرون في الإسلام، قليلون المدركون لتبعاته!** لو أن كل من ذاق حلاوة هذا الدين قام داعياً له لأشرقت شمس أفراحه قبل أوانها! مؤسف جدّاً أن يكون أنصار هذا الدين، وحُمّال رايته، وأصحابه؛ هم يحتاجون دعوة للقيام بدوره ومد مساحته من جديد.

- **كان الواحد من تلك الأمة إذا لقي برد الإسلام في قلبه قام حاملاً لرايته مادّاً في مساحته،** صانعاً لأحداث العزة به في واقعه، وعاد اليوم يتلفت للأعوان رغم كثرة المنتسبين.

ما أحوج هذا الدين إلى صنَّاع أحلامه، ومد تاريخه، وصناعة بهجته! كم هي الأمم والأجيال التي تنتظر من يعرض مفاهيمه ويبين عن مساحاته، ويهيض عليهم أفراحه ليتمكّنوا من الدخول فيه والنعيم بما فيه!.

مؤلم أن يكون في ديننا كل شيء ولا يعرف عنه كثيرون أي شيء.

يعلمنا أبو بكر رضي الله عنه أن لهذه النعم واجب شكر، ويعرّض نفسه لظلام ذلك الواقع، ويخرج حاسراً رأسه بهذه الفضيلة، ويبلّغ هذا الدين لأولئك المعارضين.. وفي مثل زماننا يطول انتظار كثيرين ولا يجدون من يبلغهم من بواعث الحياة شيئاً.

❁ ❁ ❁

٢ ـ **صعد المنبر خطيباً رضي الله تعالى عنه وأرضاه، فثار المشركون عليه وضربوه حتى أدموه، وبلغ منه الفاسق عتبة بن ربيعة ما بلغ؛ حتى إنه كان يضربه بنعلين مخصوفتين ويحرفهما في وجهه، ونزا على بطنه حتى أثّر فيه كثيراً، كل هذا مقابل صنيع الأفكار والمفاهيم.**

❁ ❁ ❁

• **إن الأمم تقاتل على أفكارها ومفاهيمها ومبادئها وتصوراتها أكثر مما تقاتل على شيء آخر،** وتسترخص في مقابل تلك المفاهيم والأفكار كل شيء. وما الذي أثار هؤلاء على أبي بكر؟ وما الذي بعث هذا الشقي ليضربه بحذائه ويحرّفها في وجهه وينزو على بطنه لولا الأفكار التي تغير



على واقعهم، وتغتال قيمهم، وتحــارب الأوهام العالقة في عقولهم وأفكارهم؟!.

- **الأفكار والمفاهيم كالسُّـــرُج التـــي تبدد الظلام، والأضواء التـــي تأتي على عتامـــه، وكل الإمكانات التي يمتلكها الأفراد والجماعات إذا لم تجد فكرة تحملها فهي لا شيء**، تصبح فارغة لأنها لم تجد ظهراً تركبه، ولا عقلاً تســـتعمره، ولا قلباً تتملكه! وما يصنع ســـلاح مدمّر في يد إنسان مسلوب العقيدة؟!.

- **الذين عاشـــوا لأفكارهم لم يتمكن حتى الموت من تغييبهم، رحلت أجسادهم وبقيت أفكارهم تجوب عالم الحياة، وما زالت حية في الدنيا وبينها وبين أجسادها مئات السنين.**

- **لا شيء يعدل الفكرة الحية! ولا شيء في المقابل يستطيع أن يقف في وجه حريتها!** كل الكبار والمؤثرين وصُنّاع الحياة ما كانوا ليكونوا كذلك لولا مساحة الأفكار والمفاهيم التي اجتالت في قلوبهم، وأخذت مســـاحتها من عقولهم، وعاشت شغفاً مورقاً في حياتهم.

- بلغ رســـولَ الله ﷺ خبرُه، فأقبل إليـــه ورقَّ له وأكب عليـــه وقبّلـــه، **وهذه مـــن محامد الدعـــوة أنها لا تترك أصحابها في ســـاعات الفرح، ولا تتخلّى عنهم في ساعات**

الأزمات.. هـــي جزء مـــن أرواحهـــم ومشـــاعرهم وهتاف ذكرياتهم، تريد لهم الخيـــر، وتقف معهم، وترعاهم حتى يستوثقوا من الطريق.

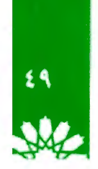
ما أروع رســـولَ اللّه ﷺ وهـــو يتحســـس صاحبه في أزمته، ويرق له، ويكب عليـــه ويقبله، ويتمنى أنه لم يره في تلك الحال.

إن لم تَـــرِقَّ الدعوةُ وصاحبُها لحامـــل فكرتها ومبلّغها للعالمين وصاحب الراية فيها فلا مفروح بها في شيء!.

يستحق الذين يهبون أرواحهم فداء لعقائدهم أن يُسأل عنهم، ويرق لهم، وتذرف الدموع لشكواهم، وتطول الأرض أحزان العالمين لآلامهم.

- **كثيرة هي المنكرات التي باتت تغطي مســـاحة من الأرض على حســـاب الحق؛ ذلك أنها لم تجد بطلاً يُغِير عليها**، ولا صاحب ســـراج يبدد ظلامهـــا، ولا صاحب راية يهتف بالمصلحين من حوله ويُغِيروا على سوءات الضالين في عرض الطريق.

كم من صالح يرى منكرات في بيته، وحيِّه، وواقعه، ولا يتمعّر وجهه فضلاً أن ينكر بلسانه، وهذا الذي مكّن الباطل من التوسّع واشتد بها عوده مع الأيام.



يا لهفي على رجل كهذا الكبير الذي أدرك دوره ومساحته وواجبه، وقام في وجه عقائد الباطل يواجهها ويحاصرها أن تلقى حظّاً في مساحة الدنيا وهو حي!.

مؤلم أن ترى فئاماً من الصالحين ثم لا ترى لهم نجدة في واقع! ولا صرخة في ظلام! ولا صوت حرية في مساحة فساد! وما نصنع بهؤلاء؟! موتهم خير ألف مرة من حياة الجبناء! لا أغمض الله لهم جفناً حتى يقوموا بواجبهم أو يلقوا حتفهم في عرض الطريق!.

وصدق ﷺ وهو يصف واقعنا كأنه رأي عين: «**يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**» فقال قائل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**».

- من قال لكم يوماً: إن الابتلاءَ عارٌ في حياتكم؟! من الذي أملى عليكم هذه الأوهام حتى جعلكم لا قيمة لكم في واقعكم؟! من الذي وأد حرياتكم بهذه المعاني حتى سلب منكم كل شيء؟!.

الابتلاء سُنة ماضية في حياة كل إنسان؛ يُبتلى الرجل على قدر دينه، تكفي أحدهم زينة امرأة عارضة فيسقط في مستنقع الشهوات وقد كان ما كان، ويكفي الثاني استجواب أو سؤال حيال فضيلة قام بها، ويكفي الثالث جرعة من مال أو مساحة منصب تجعله عبداً يرسف في قيود العبيد ما بقي من عمره، وآخرون لو أطبقت عليهم الدنيا كلها ما وهنوا أمام قيود الحديد وسواد الليل الحالك بالأزمات!.

* * *

٣ - رجعت بنو تيم فدخلوا المسجد وقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة. ثم رجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة والده وبنو تيم يكلمون أبا بكر حتى أجاب فتكلم آخر النهار، فقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ ثم ما زال يسأل حتى قالوا له: هو في دار الأرقم. قال: فإن لله عَلَيَّ ألا أذوق طعاماً ولا أشرب شراباً حتى آتي رسول الله ﷺ.

فأوصلوه إليه، فلما رآه رسول الله ﷺ أكبّ عليه وقبّله، وأكب عليه المسلمون، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك، فادعُها

إلى الله، وادعُ الله لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار. فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الله، فأسلمت.

❁❁❁

• **هذا هو الحبُّ لنبينا ﷺ الذي ما زلنا نبحث له عن مواطن تطبيقية في حياتنا كل يوم!** يأخذك العجب وأنت ترى هذا الكبير مضرجاً بدمائه وقد أوشك على الموت، ثم لا يبالي بما أصابه، يسأل عن رسول الله ﷺ: (ما فعل رسول الله ﷺ ؟) في حين لم يجد المسلمون بعدُ هذا الهمَّ في أيام الرخاء والعافية، فكيف بأيام البؤس والشدة؟! أعني سؤال العمل والتطبيق الناتج عن حب هذه السُّنة والتعلّق بها والشوق إليها، لا عمل المجهد المثقل من أحداثها والذي تنازعه نفسه التطبيق، ويحاول أن يرضي نفسه بشيء من ذلك.

إن هذا الحب الذي يعيشه أبو بكر رضي الله عنه هو الذي تحتاجه الأمة للتعامل مع سُنَّة رسولها ﷺ ، وأن تتحوّل حياتنا إلى تطبيقات عملية يجدها الإنسان في روحه ومشاعره قبل أن يجدها في حديثه ومشيه وكلامه وتصرفاته في بيته، ومع جيرانه، وفي عمله وتعامله، وفي كل شأن من حياته، لا تلك التي تبدو صورها المعرفية أكثر بكثير من واقعها التطبيقي.

• استثمر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموقف، وتخلى عن ظروفه، وخرج من إطار أزمته، وتشوّف لتلك الأمنية الكبرى؛ قال: يا رسول الله، هذه أمي برة بولدها فادعُ الله تعالى لها، عسى الله أن يستنقذها بك من النار. فدعاها ﷺ فأسلمت.

والهموم تصنع أحداثها في واقع المكلومين؛ فما بالك بالأصحاء؟! **مكلوم في ظروف حرجة لم تفارقه هموم هداية أمه، وحين سنحت فرصة في عمق الأزمة ذهب يستثمرها في لحظتها!** فلله ما أروع هذه الصورة في البِر! وما أثمنها في واقع ابن! وما أكبر مساحاتها وأحداثها في واقع أسرة!.

جدَّ في زماننا العقوق، ولبس لبوساً مختلفة عن سابق الأزمان، ودَرْسُ أبي بكر مثير في رعايته لأمه فوق كل وصف، وهذه الأولويات إذا فقه الإنسان علمها أتى منها على أمانيه.. وحاجة الأجيال لهذا الفقه من أعظم الحاجات.

• **أعظم درس في البر استنقاذ أبويك وأهلك وأسرتك من النار!** كم يشغلنا هذا الدرس في واقع بيوتنا وأهلينا؟ كم من وقت بُذل على تصحيح مفاهيم في غاية الخطورة لدى بيوتنا وأسرنا؟ كم هي الهموم التي صرفت في بناء التوحيد؟ وكم أخذت العقائد من أوقات الأبناء؟...

إن مشكلتنا أننا نتحدث عن صور من البر لا عن البر، وفي وسائل التواصل الاجتماعي اليوم لباب البِرِّ لا أصله وقاعدته؛ ترى أحدهم ذهب بها تفتتح مكاناً تجاريّاً لولدها عرفاناً منه بجميلها، وآخر استقبلها في المطار وقبّل قدمها، وثالث، ورابع... وفات كل هؤلاء أن حاجة الوالدين أكبر من هذه الحاجات.. ولعل تصحيح المفاهيم والأفكار وبناء التصورات والقرب منهما وتلبية حاجتهما والوقوف معهما في كل طارئ أعظم مقاصد الآباء من الأبناء.

***



إدارة الأولويات

- **ما أحوج المصلحين إلى العناية بالقبيلة، وهي دعوة القرآن لإدارة شأن الأولويات في واقعنا:** ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

لقد قامت بنو تيم قبيلة أبي بكر بعد ذلك الحادث الذي جرى لأبي بكر رضي الله تعالى عنه، ودخلوا المسجد وأعلنوا القصاص من عتبة إن رحل أبو بكر من الدنيا، والعشيرة والأهل والقبائل أعوان الطريق وأصحاب الملمّات عند حدوثها، وكم من كبير بقومه! وكم من قليل بدونهم! وقد قال الله تعالى على لسان أعداء شعيب: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَ﴾ [هود: ٩١].

وفي زمان نبينا ﷺ رابطت بنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ثلاث سنوات من أجل نصرته ﷺ، وإذا كانوا كذلك جُعلوا أولوية، وجمع شملهم وعني بهم، فإذا ما ثارت حوادث الزمان وجدت أصحاب الرايات منهم في ميادين النصرة والنزال.

كم من مجتمع برجل! وكم من رجل بمجتمعه وقومه وقبيلته وأهله!.

درس الأولويات يا صُنّاع الحياة! والفقه الفقه يا كُتّاب التاريخ! ومباهج الدعوة والمشاريع المثيرة يجب أن تأخذ حظها أولاً من مجتمعات أولئك الصناع قبل أن تبدأ قصتها الكبرى في واقع الحياة.

- **إن درس الأولويات في غاية الأهمية، وينبغي أن يكون أصلاً في حياة المسلم، فضلاً عن حياة الدعاة والمصلحين وحمّال الرايات وصانعي الحياة.**

وكل تفريط في هذا المعنى ضياع لكثير من المقدرات الكبرى التي يمكن أن يصنع فيها هذا شيئاً كبيراً مع الأيام.

إن جزءاً كبيراً من مشكلات الشباب اليوم يكمن في الغفلة عن هذا المعنى، فتختلط عليهم كثير من قضاياهم؛ فلا هم الذين بلغوا مرادهم، ولا هم الذين استثمروا واقعهم، والله المستعان.

- كثيرون لديهم مشكلة في صلاة الجماعة، وآخرون لديهم مشكلة في القيام بحقوق والديهم، وآخرون لم يبلغوا

شـــأناً في إدارة مشـــاريعهم، وغيرهم كثير قد ينجحون في جانب ويخفقون في جوانـــب أخرى؛ لأنهم لم يعطوها حقها من الأولية، ولم يعتنوا بها في حساب الأولويات.







١٢ العيش للفكرة

١ ـ هجرته الأولى رضي الله تعالى عنه وموقف ابن الدغنة منها:

قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار (بكرة وعشية)، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيّد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟.

فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي.

قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخْرُجُ، ولا يُخرَج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك.

فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخْرُج مثله ولا يُخرَج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمـــل الكل، ويقري الضيـــف، ويعين على نوائب الحق؟!.

فقالت قريش: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، ولا يؤذينا بذلك ولا يســـتعلن به، فإنا نخشـــى أن يفتن نساءنا وأبناءنا.

فقال له ابن الدغنة ذلك، فلبث أبو بكر يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا له فابتنى مســـجداً بفناء داره، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيتقدّف عليه نساء المشـــركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليـــه، وكان رجلاً بكّاءً لا يملك عينه إذا قرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشـــراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا له: إنّا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك علـــى أن يعبد ربه في داره، ولكنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنّا خشينا أن يفتن نســـاءنا وأبناءنا، فانهه، فإن



أحب أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسـله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشـة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: لقد علمت الذي عقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدتُ له.

فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل.

❁ ❁ ❁

- **يعيـش أبو بكر قضيـة وفكرة ملهمـة، وحياة ورسالة، ومن يعيش كذلك لا يمكن أن يبقى في أرض من دونها!** أعلـن بالأمس منهجه وقضيتـه فمُنع وضرب وسـالت الدمـاء، **وأرض لا تجد فيها فسـحة لإقامة منهجك ورسالتك لا تصلح وطناً للأحرار!.**

- الأصل ألا يفارق الإنسـان وطنه ولا يبرح مسـاحته، ويعيش حاملاً لتلك العقيدة، مناهضاً بها العدو، حتى يقضي

اللّٰه تعالى أمراً كان مفعولاً، ما لم يَحُلْ دون ذلك عقبات أو تأتِ مصالح يودع فيها الإنسان أرضه طالباً للحياة.

إن من أعظم أفراح العدو أن يخرج الكبار والمصلحون وحُمّال الأفكار والرايات من ديارهم؛ حتى تخلو لهم الأرض، فيعبثون فيها كما يشاؤون، ومن الفقه ألا تبرح أرضك إن لم يكن فيها من يخلفك، أو وجودك فيها فرض لا تقوم الدعوة بغيرك.. فإن ضاق الأمر، ووجدت من يخلفك ويقوم بدورك أو بجزء منه وتبقى الدعوة تصاول العدو على المكتسبات، ووجدت فجاجاً أروح لقلبك ومشاعرك ويمكنك أن تقيم فيه منهج اللّٰه تعالى، فلا حرج، والأمر للّٰه تعالى من قبل ومن بعد.

- **القدوة القدوة يا أيها الناهضون في الحياة!..**

(إن مثلك لا يَخْرُج ولا يُخْرَج، إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك) فعاد رضي اللّٰه تعالى وأرضاه.

هذه هي صفات رسول اللّٰه ﷺ التي حكتها خديجة رضي الله تعالى عنها له ﷺ حين أقبل خائفاً من الغار.

وإذا لم يكن الدين صورة حية في واقع صاحبه، فلا مفروح به مع الأيام.

متى كان الدين تلك الصلاة التي نؤديها في المسجد ثم يكون آخر عهدنا بمباهجها بوابته! أو تلك الأيام التي نصومها تعبُّداً لله تعالى ولا يظهر علينا شيء من آثارها في النهاية! أو تلك الزكاة التي ندفعها ونتخلّص من أعبائها بمجرد دفعها للمنتظرين! الدين الذي يجب أن يلقاه الناس من صاحبه ويرونه واقعاً في حياته هذا الذي يحكيه ابن الدغنة في واقع أبي بكر رضي الله عنه.

الفاعلية والمبادرة وصناعة الفأل والأمل وتوسيع مساحات الربيع جزء من صناعة هذا الدين، وما لم تكن هذه الصورة هي الجزء الأكبر من حياة الداعية وصانع الأمل؛ فلا حقيقة لدينه ولا واقع لتدينه.

- **أشد ما يقلق الأعداء حاملٌ للواء فكرةٍ يريد بناءها في واقع الحياة!..**

(**فقالوا له: مره فليعبد ربه في داره، ولا يستعلن بدينه**) وإذا وجدك العدو ناسكاً؛ حسبك مسجدك، تصالح معك، وربما دفع لك مالاً على مفاهيم دينك التي



ألقت بك بين جدران بيتك، وجعلت منك هامشـــاً لا واقع له في الحياة.

وهذه قصة تصالح العــدو مع كثيريــن! إذا وجدك العدو ممسكاً بعنان بيتك لا تخرج منه، وتحوّل المسجد في حياتك إلى مكان تؤدي فيه عبادتك، فرح بك وســر، وأذاع صداقتك، وعــدَّك من المعتدليــن! وقد يوظفك، ويمنحك مســؤولية، ويدعمك بكل ما تريد؛ لأنك تسير معه في الطريق ذاته، وتمشي معه في الاتجاه ذاته.

وأســوأ ما عليه أن يراك مؤمناً بأفكارك، وتخرج دينك من باحة المساجد إلى باحة الحياة، وتنفق على أفكار دينك ومفاهيمه أكثر مما تنفق على صوره وأشكاله: (**فقالوا له: مره فليعبــد ربه في داره ولا يســتعلن بدينه**).. ما أكثر المتنسّــكين في المســاجد! والقابعين بين جدران بيوتهم! وليس من شأنهم حراك الأفكار والمفاهيم!.

- **رفــض أبو بكر فكــرة القعود والخمول والكســل والتواني، وخرج يُبلّغ العالمين الحياة!** ابتنى مسجداً بفناء داره، وأخذ يصلي فيه ويقرأ القرآن، وكان رجلاً أسيفاً، وأخذ نساء قريش وولدانهم يتقاذفون إلى سماع الوحي من جديد.

ما الدين لولا هذه النهضة في قلب صاحبه؟!.



لا يمكن أن تحُول السجون أمام الأفكار التي يعيشها أصحابها، ومهما بلغ العدو في سجن أجساد حُمّال الأفكار؛ إلا أنهم يقفون في النهاية عاجزين عن إقناعهم بالتخلي عن تلك الأفكار التي آمنوا بها وعاشوا لها ما بقي من أعمارهم.

رأيت من دخل السجن أربعين عاماً لفكرة، ثم أخرجوه بعد تمام الأربعين بالفكرة ذاتها لم يتغيّر منها شيء، ورأيت من تنازل عن كل شيء بمجرد الاستجواب! ورأيت من غيّر مفاهيمه وأطروحاته الفكرية من أجل مستقبل موهوم، ورأيت من ترك كل شيء وآثر السلامة في مساحات الفارغين!.

وفي التاريخ رجال لم تصنع فيهم السجون سوى زيادة القناعة بتلك الأفكار.

فيا صُنَّاع النهضة، وكُتَّاب التاريخ، قولوا للعالم كله: إن هذا الدين ليس تلك الصورة التي تتم شجونها في مساحة المسجد، وإنما ذلك الواقع الذي يكتب حظه في حياة العالمين.

❁❁❁

٢ ـ أخذت قريش على نفســـها أن تقف في وجه كل مؤمن بهذا الدين، حامـــل لأفكاره ومفاهيمه، وقامت تخاصم كل حر يريد الفكاك من أغلال العبيد والأوهام والشرك والكفر، فقام سيدها أمية بن خلف فاقتاد بلالاً المسلم الجديد في أرض الغربة إلى العذاب والنكال، ومنعه من الطعام والشراب، وأخذ يحبسه في الرمضاء الحارة ويضع الصخور على صـــدره لعله يتنازل عن إيمانه وقضيتـــه وهمومـه، وهيهـــات، وظل يـردد: (أَحَـدٌ، أَحَد).

وعلى طريقه كُثر بدأت قريـــش تتخذ منهم موقفاً، وتصلبهم على موارد الابتلاءات، وقد منّ الله تعالى على أبي بكر بمال فأخذ يفك هؤلاء الأســـارى والمعذبين، ويدفع عنهم بماله، حتى بنى للإســـلام صرحاً، وجعل أركانه من الرجال.

✿ ✿ ✿

• **منّ الله تعالى علـــى أبي بكر بالمال، فكان في يده وليس في قلبه منه شيء، فراح يفك به الضعفاء والإماء من أهل الإســـلام من رق الكفر والكافرين،** وعلى رأس هؤلاء: بلال رضي الله تعالى عنه، وحوّل هذا المال إلى وسيلة لدعم رسالة



هذا الدين وتوسيع دائرته، وكم من نعمة في يد صاحبها لم يدرك غاياتها كانت وبالاً عليه في النهايات، **والعاقل يدرك أن كل نعمة من مال أو مسؤولية أو جاه مرهونة بآثارها، وعلاقتها بقيم ودين صاحبها.**

وكم من وسيلة دخل صاحبها بها الجنان! وكم من وسيلة طوقته حتى ألقته في غياهب الظلام! وجاءت التزكية في النهاية ربانية: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

واشوقاه إلى صاحب راية في الكرم! لا أعني أولئك الذين يصنعون الموائد لذواتهم وأصحابهم وشهواتهم.. كلا! وإنما أعني الذين يفكون بها كُرَب المحتاجين، ويقومون به عن الضعفاء، ويوسِّعون به في مساحات هذا الدين.

مالُكَ الحقيقي ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت.

وما أحوج الأمة اليوم أمثال هؤلاء: (**إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق**).

ألا قاتل الله الأنانية! كم في مالِكَ لدعوةٍ أو إغاثة أو مشروع تربية؟ كم في مالِكَ لتفريج الكرب وإعانة

المحتاجيــن وبناء أوقــاف الحياة؟ كم تدفــع من مالِكَ لدينك، ورسالتك، ومنهجك، وقضيتك؟.. وما عدا ذلك لا قيمة لــه ولو كانــت حســاباتك في البنــوك تضاهي حسابات دول.







مقوِّمات الصحبة

قرر النبي ﷺ الهجرة إلى المدينة، فجاء لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في ساعة الظهيرة حين قلّت حركة الناس، ثم قال له: «أَخْرِجْ مَنْ عندَك».

فقال: يا رسول الله، إنما هم أهلك، وما ذاك فداك أبي وأمي؟.

فقال: «إنه قد أُذن لي في الخروج والهجرة».

فقال أبو بكر رضي الله عنه : الصحبة يا رسول الله؟.

قال ﷺ: «نعم».

قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين.

قالت عائشة: فجهزناهما أحسن الجهاز، ووضعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فسُمِّيت بذلك ذات

النطاقين، ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثور، فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر، وهو غلام شاب، ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر مِنحةً من غنم، فيريحها عليهما حيث تذهب ساعة من العشاء، فيبيتان في رِسل (وهو لبن منحتهما ورضيفهما) ـ والرضيف: اللبن المرضوف الذي طرحت فيه الحجارة المحماة ـ حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

***

• ما الذي جاء بأعظم رسول في الدنيا إلى أبي بكر رضي الله عنه في هذه اللحظة؟ ولِمَ أبو بكر من بين كل الصحابة؟..

لقد كان رضي الله عنه أمثل ذلك الجيل في كل شيء، والرجال وأصحاب المشاريع يتشوفون إلى صحبة الكبار!.

إذا أردت أن تكون ذا شأن، وتتمناك الرجال، وتهفو إليك أثقال المشاريع، فكن كبيراً مثيراً في عالم



القدوات، وعلى قدر همومك تشتاق لك النفوس، ومن صغر همه وضعفت همته فلا مفروح به في شيء.

- **الرجال لا تهفو إلا إلى كبير، وإذا لم تكن على قدر فجائع الزمن وإلا فلا مفروح بك في شيء.**

وما يُصنع بصحبتك وأنت ثقيل نفس، وبطيء طاعة، وضعيف هموم؟!..

ما يُصنع بصاحب لا هم له، وليس لديه قصة تستحق الكتابة، ولا يعرف مشروعاً ناهضاً في الحياة؟!..

لا تتنافس عليك الأحداث إلا في الوقت الذي يجدون عندك كل شيء، وتصلح لكل شيء.. وما يصنعون بالفارغ الذي لا راية له، ولا هموم لديه، ولا فكرة يجود لها بقلبه ومشاعره ووقته وماله؟!.

- **استثمار الفرص دليل وعي: (الصحبة يا رسول الله)!** لقد جاء النبي ﷺ وعرض عليه قضية الهجرة، والتمس منه رأياً، والفرص السانحة في عرض الطريق لا تضيع على الكبار، فقال: الصحبة يا رسول الله! وهذا هو الفقه..



وكم من فرصة ســانحة في الطريــق صنعت لصاحبها مجداً في الدارين!..

مشكلة الفرص أنها تأتي في ثوب العمل، فيتخلى عنها كثيرون، ويرون الآمــاد دونها طويلة، فيجبنــون عن حملها واســتثمارها، أما هذا الكبير فقد اغتنمها أول ما عُرضت، ثم ذهب يحمل أثقالها لا يبالي من تلك الأثقال بشيء، وما زال يهتف بها حتى بلغ منها مناه.

وهذا الموقف أحد الأدلة على روح صاحب هذه الهموم، وموقف غزوة تبوك التي أرخى فيها يديه فجاء بكل ما فيها دعماً للجهاد وأهله شاهد آخر، على أن من فقه هذا الرجل اســتثمار الفرص مهما كانت تكاليفها في الحياة.. ومثلك أوعى بهذا الدرس، وأقدر على تمثله في حياتك والسعي به في رحلة الأشواق.

- **ما كل صديق يصلح للصحبة! وما كل فرد قادر على عون مــن حوله!** لقد اختــار محمد ﷺ رجلاً قــادراً على تكاليف الطريق بما يملك من إمكانات وقدرات واستعدادات.

وإذا قرأت مواقف هذا البطــل أدركت ما دفع لصاحبه وللدعوة من مال وجــاه ورأي، وإذا أردنا نجاحاً فلنحســن الاختيار؛ فإن ذلك مؤذن بإذن الله تعالى بالتوفيق والنجاح.

• إن المسألة خطيرة، وهي ليست حركة رجلان للفكاك من حصار عـدو، وإنما حركة الإسـلام على أيـدي كباره وقادتـه! (**فقال أبو بكر: إنما هم أهلك!**) وحق هذه الكلمة أن تكتب بماء الذهب! قل ما شئت فهم من أهل هذا الدين وأنصاره، وكذلك يصنع الكبار في بيوتهم.

إن تمتيـن صلة هـذا الديـن بأفراد أسـر الدعاة والمصلحين والعاملين؛ من أعظم الأهداف التي يجب أن تكون في أولويات المصلحيـن وباكر همومهم، وكم من خطر تسرّب من البيوت فأعاق حركة هذا الدين، وأسهم في تأخيره مع الأيام!.

• **لقد شاركت تلك الأسـرة الفاضلة في نصر دين الله تعالى وإعلاء كلمته، وتحمّلت أعباء الدعوة**، وكانت جزءاً من هذا النور منذ بدأ إلى أن أخذ حظه وافيـاً؛ بدءاً من تجهيز ما يتعلق بالرحلة من عائشة وأسماء رضي الله عنهما، ومروراً بعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه الذي أحكم منافذ الطريق وتأمين الوصول إلى المدينة، وعامر بن فهيرة مولاه رضي الله تعالى عنه وأرضاه الذي أمَّن اللبن والغـذاء. وكم في هذه الصور من مشـاهد مبهجة للقلـب وهو يرى هذا التكاتف فـي فقه الواجب الذي يتحمله كل فرد في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

- **لقد استطاع** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أن يتفوّق من كونه فرداً لصالح مشروع الإسلام، ويوجّه طاقاته لصناعة مستقبله ومد مساحاته، إلى صانع للحياة في بيت بأكمله**، واستطاع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يكوِّن جبهة لنصرة هذا الدين وتمكينه من الواقع الذي يعيش فيه.

- فرق بين أسرة يؤمن بعض أفرادها بهذا الدين، وأسرة تؤمن جميعها به، وأسرة ثالثة تؤمن بقضية صاحبها ورائدها، **وأسرة أخرى تتحول القضية لديها إلى منهج وعقيدة يُبذل في سبيلها كل شيء**، وهذا الذي صنعه أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وإذا أعدت الذاكرة إلى صورته في الحادث الذي تعرّض له، واستثماره لزيارة رسول الله ﷺ في دعوة أمه؛ أدركت أن هذه المعاني لم تأتِ من فراغ.

وكم هي حاجة أصحاب النهضة اليوم إلى جزء من هذه المعاني التي كرّسها أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **في واقع أسرته.**

إن صلاح الداعية وصاحب الفكرة ورائد النهضة في زمانه مهمة جدّاً في تزكية هذه الفكرة لدى أسرته، لكنها في المقابل بحاجة إلى برامج عملية ومشروعات إثرائية وأفكار رائدة لتحويل تلك الأماني إلى أحداث واقعية مع الأيام.

ولو استطاعت الأسـرة الناهضة أن تتبنى مفهوماً أو فكرة أو مشروعاً على مستوى الزوجين، أو الوالدين، أو الأبناء، أو حتى الأسرة كلها؛ لكوّنت للأمة مساحات مثيرة وأحداثاً كبيرة في مستقبل الأيام.

وأعجبني مرة لدرجة الشـغف إجابة أحد الكبار حين سـأله أحد الحاضرين عن أزمة الإجازة، وما المشروعات والأفكار الناهضة التي يمكن صناعتها لشـغل أوقات فراغ الأبناء في مثـل أيام الإجازات، فقال: مشـكلتنا أننا تركنا المحاضن الطبيعية وتوجَّهنا للمحاضن المصطنعة! يقصد بالمحاضن الطبيعية: محضن الأسرة الكبير.

- **يا للغبن حين لا ينجح بعضنا في تكوين صورة الإسلام الحية في واقع بيته وأسرته، فضلاً أن يهديهم إلى الطريق، أو يجعلهم أصحاب قضية ومنهج وفكرة رائدة في الحياة.**

ما أحوجنا للتأمل في همومنا مع أسـرنا، وأدوارنا في سبيل ديننا؛ لنعرف الفارق الكبير بيننا وبين صاحب هذه الهموم العريضة في أيام حياته.

ومن قرأ سـيرة هذا الفذ بإمعان عاد مـن جديد لبثِّ الأحلام في ربوع تلك المساحات، وكوّن مثل هذه الذكريات.

❁❁❁



علمه

وكان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أعلم الأمة، وحُكي على ذلك الإجماع.

- **وإذا توافر في إنسان العلم والعمل لم يبقَ له شيء من علامات الكمال والجلال! وكلُّ نقص في واحد منهما نقص في مقام الرجال.**

ولو لم يكن في ذلك إلا موقفه في وفاة نبيِّه ﷺ لكفى؛ حين غضب الفاروق وأنكر موت رسول الله ﷺ أمام جماهير الصحابة، فقدم فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبَّله وقال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها.. ثم وقف خطيباً فقال: أما بعد، فمن كان يعبد محمداً؛ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله تعالى؛ فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].



وهذه مقامات العلمــاء في أزمان الفتن والمشــكلات وعوائق الطريق!.

- **إن الذي لا يملك شيئاً في ذاته لا يمكن أن يكون شيئاً في مســـاحته وواقعه!** ومن أراد الإصــلاح ومقامات الرجال ومساحات التأثير فليعتنِ بهذا المعنى غاية وسعه، وليجهد بأن يكون كبيراً في واقعه، وسيرى بعد ذلك ما تقرُّ به العيون.

ليست قصة أبي بكر رضي الله عنه أنه يملك مشروعاً، أو يعيش لقضية، أو أنه مستعد للتضحية لفكرة.. كان أعلم الأمة على الإطلاق.. وفرق بين طالب علم وصاحب مشروع يهب واقعه مما بسط الله تعالى عليه ويكون أثره من خلال هذا المعنى، وأن يكون الإنسان في ذلك هو كل شيء.

فرق بين متميّز في شيء وعالم بذلك الشيء.. وكذلك شأن الرجال والكبار وصنّاع الحياة في تلك المساحات التي يعيشون فيها.

يا أيها الشــباب، يا أحــلام الأمة، يا صنَّــاع الحياة، يا حاملي الهموم؛ كونوا شيئاً في تخصصاتكم ومجالاتكم؛ تَعْظُمون في واقعكم، ويسمع لكم مَنْ حولكم.

هتاف الحياة يا كبار لا يأتي مــن فراغ، ومن لم يكن راية في شيء كان حقيقاً بهوامش الأحداث.

• **من سنن الله تعالى أن الناس لا تُصغي إلا لصادق في الطريق، وجادٍّ في الفكرة، ومثيرٍ في الساحات**، ومحال أن تستقطع الأمة من وقتها لهوامش لا تنفخ فيها الأرواح.

ومن أدرك تكاليف زمانه وثمن القوة في تحويل بعض المستحيل إلى ممكن؛ أقبل على نفسه وصنع لها أشواقاً، وكتب لها روحاً، واستلذ في الطريق كل شيء.. وغدا يتحلّق الناس حوله عرفاناً بثمن العقائد والأفكار والمفاهيم في الحياة.







ثمن العلم

وكان الصديق رضي الله تعالى عنه مثالاً على العمل، وفي البخاري: من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قــال ﷺ : «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَــبِيلِ اللّٰهِ نُودِيَ فِي الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللّٰهِ، هَذَا خَيْرٌ فَتَعَالَ، فَمَــنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّــلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَــةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِــنْ بَابِ الصِّيَامِ: الرَّيَّانِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا عَلَى الَّــذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ».

***

• وإذا كانت أماني الكبار في اللحظات التي يتزاحمون فيها على باب من أبواب الجنة مجــرَّد الولوج إليها من أي

بـــاب؛ فإن أمنيـــة أبي بكر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ فـــي الدخول مـــن كل تلك الأبواب! **وما تصنع الأمانـــي لصاحبها دون العمل! وغداً تبين تلك الفروقات!.**

وإذا أردت أن تعرف هذه الحقيقـــة الضخمة فتأمَّل يوماً واحداً من ســـيرته رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، ففي صحيح مســـلم: من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، قال: قال ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْـــكِينًا؟**» قَـــالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟**» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُـــولُ اللهِ ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».

كم بقي في حياة أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه من تعـــب العمل وجهـــاد تلـــك الأوقات؟ وكم بقـــي له من الأفراح؟ كم بقي من أرباح ذلـــك المعنى الكبير في حياته رضي الله تعالى عنه وأرضاه؟..

لقد ذهب كل شـــيء وبقيت الحياة التي كان يرجوها، والمغانم التي كان ينتظرها، والنعيم الذي كان يسعى إليه بكل طريق.



• **التعب يا كبار مخلوف! والجهـــود التي تُبذل في سبيل الله تعالى لا تُعادلها قيمة في الأرض كلها، والعرق النازف من جبينك مع الأيام سيأتي أجراً وافراً وذكريات صالحة في أيام الحاجات.**

إياكم أن تضنُّوا بأنفســكم عن الشمس وشقة الطريق ومكابدة السهر وحكايات السفر في سبيل الله تعالى؛ فمهما بلغت ندوبها في جسدك؛ فستأتي يوم القيامة بما لم يخطر لك على بال!.

يا ســقى الله لحظة عاش فيها هــذا الكبير وهو يدفع بجهده وماله وعرقه ومشــاعره في ســبيل الله تعالى، ثم تؤوب في النهايات بالذكريات! **ما أحوجنا إلى فقه العمل.**

كم من راحل فاتته اللذة ولم يخلّف أثراً يستحق الحياة! وكم من راحل لم يترك الدنيا حتى ملأها جميلاً وطيباً!.

• تأمل هذا الاســتيعاب لكثير من الأعمال وبلوغه فيها الغايــات! وجزء كبير مــن أفراد الأمة يعجــزون عن حمل مشروع واحد ويتخلفون عن مباهجه مع الأيام.

إن ثمة رجال يصلحون لشــيء، ورجال لا يصلحون لشيء، ورجال يصلحون لكل شيء. وهذا الكبير يصلح لكل شيء؛ فرحمه الله تعالى ورضي الله تعالى عنه وأرضاه.

ومن الفقه لقارئ هذه السيرة أن ينظر حاله، ويعرف قدراته وإمكاناته، ويحسن توظيفها قدر وسعه، وأن يجهد في بلوغِ المعالي ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ حتى لا يأتي مغبوناً في تلك الأيام.

• **إن مشكلة كثيرين اليوم أنهم يعلمون أشياء كثيرة، ويفقهون معاني عظيمة، ولكنهم لا يحتفلون بها في العمل، ولا تتحوَّل تلك المعارف في واقع حياتهم إلى تطبيق**، بخلاف هذا الكبير؛ فإنه استوعب كل شيء، واستثمر كل لحظة، ولم يفارق الدنيا حتى ملأها علماً وعملاً، وروحاً ومشاعر وأثراً.

***



مواقفه

• **لكل كبير مواقف وأحداث يُخلّفها في واقعه، ويترك آثارها في ساحاته، ويكتب بها تاريخه، وقلَّ أن ترى كبيراً مثيراً إلا وله مواقف سجّلها في تلك الحقبة التي عاشها تلك الأيام:**

١ ـ حين حكى ﷺ لقريش قصة الإسراء؛ رأتْها الفرصة المناسبة التي حان بها إسقاط القدوة في عقول أصحابه، وأقبلوا إلى هذا العَلَم مستثمرين ذلك الحدث لفكِّ ذلك الارتباط، فقالوا له: أما علمت ما قال صاحبك؟ قال: وماذا قال؟ قالوا: قال: إنه أسري به في ليلة واحدة للمسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء! فقال رضي الله عنه: إن كان قالها فقد صدق!.

٢ ـ وأجرى رضي الله عنه سباقاً عمليّاً في قضايا البذل، وسجَّل فيها مبادرات ومواقف مثيرة للدرجة التي سابقه عمر رضي الله عنه

في تبوك، فقال ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك يا عمر؟**» قال: أبقيت لهم نصف مالي! قال: «**وما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟**» قال: أبقيت لهم اللّه تعالى ورسوله ﷺ !.

٣ ـ وشارك نبيه ﷺ في حادث الهجرة، وكان رفيقه في الأزمات وحمل راية هذا الدين إلى بيئة جديدة، وعرّض نفسه لحادث كاد يُودي بحياته، وصنع بهذه المبادرة هذه المباهج التي نراها اليوم في ساحات هذه الدنيا.

٤ ـ ودفع رضي الله عنه ماله في عون نبيه ﷺ ، وما من موقف حاجة إلا كان ماله بعد توفيق اللّه تعالى عوناً في الملمّات، وشارك بأهله في دفع عجلة هذا الدين ووسّع هذا الأثر بما يملك، وما من موقف احتاج فيه هذا الدين لكلمة فصل ورأي كبير وموقف شجاع وصاحب رأي إلا وكان له رضي اللّه تعالى عنه وأرضاه قدم السبق وكلمة الفصل.

٥ ـ وفي يوم وفاة النبي ﷺ ووداع صاحب الرسالة الدنيا، ورحيله من الحياة؛ صُعقت الأمة للدرجة التي خار فيها كبيرها وزعيمها وحامل راية الشجاعة فيها عمر رضي الله عنه، فحمل سيفه وقال: من قال بأن محمداً ﷺ قد مات قطعت عنقه! فدخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر يتوعّد القائلين برحيل نبيه ﷺ، ثم قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً



قد مات، ومن كان يعبـد اللّه فإنَّ اللّه تعالى حي لا يموت! وأنهى بهذا الموقف أزمة كادت تلقـي بعقول الكبار فضلاً عن العامة!.

٦ ـ وحين استلم رضي الله عنه مقاليد الخلافة؛ سجّل موقفاً كبيـراً حين تخلّف جملةٌ من الأعـراب عن دفـع الزكاة، فقرر رضي الله تعالى عنه قتالهم، وعارضه عمـر رضي الله تعالى عنه، ولم يتراجع رضي الله تعالى عنه حتى شرح اللّه صدر عمر لموافقته، وأرغم المتخلِّفين على دفع الزكاة فريضـة اللّه تعالى، وقال مقولته المشـهورة: «واللّه لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه في زمن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه».

والرجال مواقف! وإذا لم يسـجل إنسان في تاريخه مثل هذه المحافل الكبرى وإلا فلا مفروح به.

وقلَّ أن تجد صاحب رصيد من الأخلاق والقيم والمثل إلا وتجد له نتائج في مجتمعه وواقعه ومساحته.

إنَّ من الحرمان أن يعيش إنسان في وظيفة أو مهمة أو مسؤولية أو حتى في مجتمع ومسـاحة؛ ثم لا تجد له شيئاً يستحق التصفيق!..

- **الحياة مواقف، ويجب أن يسـجل فيها الإنسـان إبداعـاً، ويترك فيها تاريخـاً**، وينثر من خـلال أفكاره

ومفاهيمه فيها روحاً تسري في العالمين! **يا قوم ما نصنع بأجساد تأكل وتشرب وتخرج وتدخل دون منهج ولا هدف ولا رسالة؟!..**







قصة الخلافة

توفي رســـول الله ﷺ واجتمع الأنصار والمهاجرون في سقيفة بني ساعدة في اليوم ذاته؛ يوم الاثنين الثاني عشر من شـــهر ربيع الأول من الســـنة الحادية عشرة للهجرة؛ للتداول من يكون خليفة رســـول الله ﷺ من بعده، وانتهت إلى أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

وقد دل علـــى اســـتخلافه جملة كبيرة مـــن أقوال النبـــي ﷺ؛ كقوله ﷺ: «فاقتـــدوا باللَّذَيْن من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر.

وقولـــه ﷺ: «بينما أنا نائم أريـــت أنزع على حوض أسقي الناس، فجاءني أبو بكر فأخذ الدلو من يدي».

وقوله ﷺ لعائشة في مرض موته: «ادعي لي أبا بكر حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ ويقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

وقوله لمَّا تخلَّف عن الصلاة لمرضه: «مُرُوا أبا بكر أن يصلي بالناس».

ثم انعقد إجماع أهل السُّنَّة والجماعة على ذلك سلفاً وخلفاً.

وفي اليوم التالي بايعت الأمة أبا بكر على السمع والطاعة، والبيعة هي العهد على الطاعة لولي الأمر؛ وقد قال ﷺ: «من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».

ثم ارتقى أبو بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه المنبر، وخطب خطبة بهذا الشأن، وقرر فيها حقَّ الأمة في مراقبة الحاكم، فقال: (فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني).

وقرر مبدأَ العدل فقال: (الضَّعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أرجع إليه حقَّه إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله).

ثم أقر مبدأ الجهاد قائلاً: (وما ترك قوم الجهاد إلَّا خذلهم الله بالذلِّ).

وأعلن الحرب على الفواحش، ثم رتَّب إدارة الشؤون الداخلية، فجعل أبا عبيدة أمين هذه الأمة (وزيراً



للماليـــة)، وتولَّى عمـــر رضي الله عنه القضـــاء، وتولَّى زيد بن ثابت رضي الله عنه الكتابة (وزارة البريد والمواصلات)، وأنفذ جيش أسامة رضي الله عنه الذي رُتِّب في عهد رســـول الله ﷺ ولم يتمَّ لمرضه ﷺ ثم وفاته، وأعلن إنفاذه في اليوم الثالث من موته ﷺ، وقد كان رأي بعض الصحابة في عدم إنفاذه.

❁❁❁

- لم يتطلَّـــع أبو بكر رضي الله عنه لهذه المســـؤولية، ولم يأتِ حرف واحد في التاريخ يبين عن رغبته في هذا الشأن، **وإذا صلحت القلوب قلقت من المســـؤوليات، وتجافت عنها، وحرصت قدر وسعها ألَّا تلي شيئاً من أمور المسلمين يأتي عليهم بالتبعات في قادم الأيام.**

وحين جاءته هذه المسؤولية لم يتخلَّف عنها أو يتركها، بل حملها وقام بواجبها، وصنع فيها آمال المســـلمين، وكم من مسؤولية تلقَّفها صاحبها وســـألها وبحث وراءها، ولمَّا وليها أضاعها ولقي الله تعالى أو كاد وهو ثقيل من أوزارها! وكم من مســـؤولية عرضت على صالح فتجافـــى عنها، ثم أُوسدت لغيره فكانت خرقاً في مساحة الإسلام!.

- إن القيام بواجب هذه المسؤوليات فرض كفاية، وإذا لم يقم به أحد من المسلمين أثم الجميع، وإذا كان تخلُّفُ



المصلحيــن عن هذه الولايــات مؤذناً بوجــود من لا يقوم بحقوقها؛ لم يسلموا من الإثم والتبعات!.

وما حاجة الأمة اليوم إلى شـــيء حاجتها لناهض يقيم شأنها في العالمين! كم هي الجوامع التي لم تجد خطيباً يهيض على الناس أمانيهم! وكم هي المساجد التي تحتاج إلى مرابطين! وكــم هي المدارس التي تحتاج إلى من يدير شــأنها ويقوم بواجباتها ويُثري ساحاتها في كل حين! وكم هي المســؤوليات والوظائف العامة والخاصة التي ما زالت تنتظر مصلحين يشعرون بواجبهم ويقومون بتبعات تلك المسؤوليات!..

- **إن الإنسان الصالح الواعي إذا أوسدت إليه مسؤولية وحُمّل بتكاليف في واقعه؛ نهض بها، وخلق في مساحاتها الربيع، وكتب فيها النصر، وقام بحظوظها أتم ما يكون.**

هاهو أبو بكر الأســيف ينهض لهــذا الواجب، ويتقدم الناس، ويفرض ساحات العمل، ويقرر العدل، ويفتح أبواب النصيحة، ويقــرُّ الجهاد، ويأمر بالحرب، ويرتِّب الشــأن الداخلي، ويــوزع الولايــات، ويُنْفِذ جيش أســامة، ويثير مساحات الحياة والإبداع في واقعه، ويكتب حظه من خلال وعيه وفكره وجهده، وكذلك الكبار!.



• إن في إنفاذ جيش أسامة دليلاً على **أن الدعوة لا ترتبط بالأشخاص، وأن دين الله تعالى لا يقف بموت أحد ولو كان رسول الله** ﷺ، وأن الأمة وإن كانت تتأثر بموت كبارها وتتثلم، لكنها لا تموت؛ لأنها تستمدُّ قوتها من المنهج لا من الأشخاص.

لقد كان في إمكان أبي بكر أن ينفذ الجيش دون أسامة لصغر سنه، وخطورة المرحلة الانتقالية، وسيواجه الروم، وقد ثلمت الدولة بموت رسولها ﷺ، ومع ذلك أصر رضي الله عنه على إمضاء الجيش بأميره، والكبار يصنعون فروقات في مواقف كثيرة، ومثل هذه الأزمات هم رايتها وقوتها.

إن الأمة لا تستمدُّ قوتها من الأفراد الذين يتولون قيادة جيوشها، وإنما من منهج الله تعالى وتطبيقه في واقع الأرض، ويكفي إنفاد جيش أسامة دليلاً على ذلك.

فرق بين من يُجري نظاماً بغض النظر عن صلاحيته الشرعية في وظيفته ومسؤوليته ومهمته، وبين من يمضي جيشاً في أخطر مرحلة، وأميره صغير السن؛ لأنه رأي رسول الله ﷺ وأمره! ولن تقوم للأمة قائمة إلا إذا رويت من هذا المعنى وأخذت منه حظها للحياة.



- بعث أبو بكــر رضي اللّٰه تعالى عنــه وأرضاه الجيش بأميره، وعاد ظافراً غانماً بعدما أرهب الروم، وأصاب قبائل العرب بالرعب، **وأعطى رسالةً أن الدولة لم تتأثَّر برحيل كبيرها، وأنها ما زالت في أرض الجهاد ترفع راية القوة، وعازمة على عناق التحديات من جديد.**

ويا سقى اللّٰه تعالى كبيراً يســد هذه الفجوات، ويقيم شأن دين اللّٰه تعالى في العالمين! نسألك يا اللّٰه أن تجمعنا برسولك ﷺ؛ فقد اشتاقت قلوبنا ومشاعرنا إلى لقاء ذلك الحلم الكبير، ونســألك أن تجمعنا بهذا النحيل الذي ملأ الأرض تاريخاً، وما زال حديث العابرين!..

- **القيادة ليست مصالح شخصية، ولا فرصة للتطاول على خلق اللّٰه تعالى، وإنما وســيلة لقضايا كبرى تحتاجها الأمة**، وهــذا النَّفَسُ الذي يتحدّث بــه أبو بكر رضي الله عنه هو نَفَس الكبار: (**فإن أحســنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني**) هذه روح القائــد في تلك الحقبــة من الزمن، وهــذا هو الواجب الكبير عليه، وهذه بعض مقومات الكبار في مثل هذه المواقف.

ما أحوجنــا إلى هذا الخلــق في التعامل مــع أزواجنا وأبنائنا وأصدقائنا ووظائفنا قبل أن نتعامل بها في شــيء على مستوى الأمة كلها.

تطغى نفوس كثير من القادة على مختلف مسؤولياتهم في مثل هذه المواقف، وتتفشّى في واقعهم أخلاق فرعون ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]، وتموت كثير من حقوق الآخرين لفوات هذا الحظ الكبير الذي يدير شأنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

كم مرة كان الحق معنا والخطأ من نصيب الآخرين! وكم مرة أجرينا قضايا هذه المسؤوليات على آرائنا الشخصية لا على حاجة الناس وظروفهم التي يعيشونها!.

• **العدل أصل للبقاء، وهو منهج مقرر في الوحي حتى مع الكافر: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، ويجب أن يأخذ حقه في كل دائرة.**

وقد ورد عن النبي ﷺ النكير على من قسم لأولاده دون بعض، فقال: «**إنِّي لا أشهد على جور**»؛ وهو مسؤولية الولاة أيّاً كان مستوى تلك الولاية التي يقومون عليها.

وإذا قرأت هذه الرسالة من أبي بكر في أول خطبة له تدرك أثر هذا المعنى في استقرار أي مسؤولية: (**الضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقَّه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحقَّ منه إن شاء الله**).

وجزء من مشكلات الأمة اليوم أن هذا الخلق يتضعضع في مساحات كثيرة ومسؤوليات متعددة، ويبغي بعضنا على بعض دون وعي. وما حالات التشظي التي نراها في البيوت بيـن الأزواج والأولاد، وفي الدوائر الرسـمية إلا بعض من آثار التفريط في هذا المعنى الكبير.

- **إنَّ مسؤولية القائد والحاكم والمسؤول لا تخوّل له الاعتداء على حقوق الآخريـن، ولا تمنحه حق التصرف كيفما يشـاء**، وإنما تلجمه بلجام الشـرع، وتلبسه بلباس الشـريعة، وتجري به في فلك ما في الوحي، ولا يجوز له بحال أن يجري شيئاً من أحكام تلك المسؤوليات دون ذلك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: **إن الله تعالى ينصر الدولـة العادلة وإن كانـت كافرة، ولا ينصـر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة**. اهـ.

وهذا الواجب يجب أن يُرعى في كل المسؤوليات مهما كان مستواها لا فرق.

- **كان الجهاد وما يزال هو شرف الأمة وتاريخها الكبير، وهو مصدر قوتها وفخرها وسـؤددها**، وقد رفع أبو بكر رضي الله تعالى عنه رايته، وأنفذ جيش أسامة، ولقّن المرتدين به درساً لن ينسوه،

وأخضعهم للحق، وأركسهم له بعد استعلاء الباطل زمناً في نفوسهم، وقال رضي الله عنه: (**وما ترك قوم الجهاد إلا خذلهم الله بالذل**)، وهذه هي الحقيقة التي باتت واقعاً اليوم في مساحات كثيرة من بلاد الإسلام والمسلمين، والله المستعان!.

- **استطاع العدو أن يكفّن فضيلة الجهاد تحت مسميات الإرهاب ونحوها، ويجعلها عاراً عليهم، ويلبس أهلها لباس المعتدين الآثمين الظالمين، حتى بات مصطلح الجهاد تهمة ترمي صاحبها في غياهب السجون دون شيء.**

وإن كان أصل ذلك نشأ من هيشات بعض السفهاء من بعض أبناء المسلمين الجهلة، الذين مارسوا بعض الأعمال الجاهلية، وأراقوا دماء المسلمين الأبرياء، وعبثوا بجملة من القيم، وانتهكوا الحرمات باسم الجهاد، إلا أن ذلك لا يعني أن يُعتدى على القيم الشرعية ويُعبث بها، وتتحوّل إلى مفاهيم إرهابية يُنبز بها المسلم في كل مكان.

وفرق بين فوضى وجاهلية، وشريعة مقررة في وحي الله تعالى من كتاب وسُنة.. ولئن ماتت هذه الشريعة في مساحة من الأرض فسيستبيحها العدو بألف صورة، وينهب خيراتها باسم الديمقراطية ومحاربة الإرهاب. والله المستعان.

• تولى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخلافــة، فأعلن الحرب علـــى الفواحش، وأقام للدين دولـــة، وركض على كل فوضـــى تجري في تلك المساحات، وأعلن فيها تحكيم الوحي، وكذلك يصنع الكبار.

وكل ولاية لا تجعل دين الله تعالى أصلاً، ولا تبدأ به ومن خلاله معاني الحياة؛ فلا مفروح بها في مكان.

وقد قـــرر الله تعالى أن تمكيـــن أي جماعة في الأرض مرهون بهـــذا المعنـــى الكبيـــر: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور: ٥٥]؛ ليس بالضرورة أن يكون هذا المعنى في دولة أو أمة، بل يجري حتى في مساحة بيت وأسرة ومجتمع ووظيفة.

• **إدارة الأولويات ضرورة في حياة كل إنســـان**، بدأ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أولاً بترتيب شأن الصف الداخلي؛ **فرتب إدارة الشـــؤون الداخلية؛ فجعل أبا عبيـــدة أمين هذه الأمة (وزيراً للماليـــة)، وتولى عمر** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **القضـــاء، وتولى زيد بن ثابت الكتابة (وزارة البريد والمواصلات)**، وهذا الفقه حري بالعناية والاهتمام، وكل مساحة لا ترمم من الداخـــل ويُعتنى ببنائها أولاً، وتُدار فـــي باكر الأمر، وإلا

تأتي على كل قرار بعد ذلك بالخذلان، وتخلق شتاتاً في بقية الأمور.

والظاهر في هذه الصورة العناية بتعيين الأمناء والكبار والقادرين على إدارة شؤون تلك المساحة باقتدار، وإذا أمعنت في الأسماء وتأمّلت فيها أدركت أنها جرت على سُنّة الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وجملة من قضايا الأمة تدار في هذا الشأن ليس على هذا المبدأ ولا من خلال الكبار والمؤثِّرين والمصلحين والمؤتمنين، وإنما تدار من خلال الشخصيات التي يمكن تشكيلها كما يشاء القائد، ويكونون في النهاية كالأدوات التي يحركها كيفما شاء،ومتى شاء، وفي الطريق الذي يشاء، وهذه من أخطر القضايا التي تؤدي إلى الفشل والحرمان في حياة صاحبها يوماً ما.

* * *





قصة الردة

- مات رسول الله ﷺ وتولى أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الحكم، فارتدَّت قبائل العرب؛ إما صدمة بموت رسول الله ﷺ ، أو رقَّة في دينها، أو حنيناً إلى الجاهلية، أو تفلُّتاً من نظام السلطة والحكم، أو طمعاً في مكاسب مادية، أو لمؤثرات أجنبية من اليهود والنصارى في تلك الحقبة من الزمن.

وكانت الردة في صور؛ منهم من ترك الإسلام بالكلية، ومنهم من ادَّعى النبوة، ومنهم من أمر بترك الصلاة، ومنهم من رفض أداء الزكاة، ومنهم من شمت بموت رسول الله ﷺ.

فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه خطيباً، وانتقد هذه الردة، ثم قرر قتالهم.

وأشار بعض الصحابة بغير هذا الرأي كعمر وغيره قائلين: كيف نقاتل الناس وقد قال ﷺ : «أمرت أن أقاتل



الناس حتى يقولوا: لا إلٰه إلا اللّٰه؛ فمن قالها عصم منِّي ماله ونفسه إلا بحقِّه وحسابه على اللّٰه».

فقال رضي الله تعالى عنه: واللّٰه لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة. وفي رواية: واللّٰه لو منعوني عناقاً ـ أو قال: عقالاً ـ كانوا يؤدونها إلى رسول اللّٰه؛ لقاتلتهم على منعها.

***

• **القيادة فن، ولها مقومات! ولا تصلح لكل أحد، وصاحبها لا بد أن يكون شجاعاً جريئاً قويّاً في الحق، لا يبالي بعوارض الطريق!** وكم من خائف متردد سقى الأمة حنظلاً مرّاً مع الأيام، وأركسها في مراتع الهوان!.

القادة والمؤثِّرون وصُنَّاع الأحلام لا يأبهون بالعدو، ولا يقيمون له وزناً، ويصعقونه من أول محاولة، ويردونه على الأرض من أول وهلة، ويصنعون في الأمة واقعاً يتحدَّث عنه العالم بعد ذلك زمناً طويلاً.

وإذا بُليت الأمة بقائد وهن ضعيف يحسب كل صيحة عليه هي العدو؛ فلا تسل عن الهوان الذي يلحق الأمة ولو بعد حين.

• **إن المسافات الفاصلة بين موت قائد وتولي آخر مسافات فارغة، غالباً ما يستثمرها العدوُّ لصالحه،**

ومن مقومات الكبار: أنهم يسدون هذه الثغرة مبكِّراً، ويكتبون فيها أمراً يُعطي المناهضين والمتسللين درساً لا ينسونه مع الأيام.

لقد انتقد أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الردة، وبيّن موقفه منها، وليست المسألة حرية شخصية في اعتناق دين أو مذهب أو عقيدة، وإنما مرحلة إن لم تُلجم بالقوة وإلا صنعت فوضى لا يمكن لمُّ شملها بعد ذلك.

وما حاجة الأمة اليوم إلى شيء حاجتها إلى قائد صاحب مُثل وقيم ومبادئ يتطاير الشرر من رأسه، لا يبالي بعوارض الطريق ومدلهمات الزمان! وما بليت الأمة بهوان ما بليت بضعيف تسنَّم مكاناً ليس له ولا يصلح لإدارة شؤونه.

- **الكبار يسمعون للشورى، ويقدّرون الآراء الفاعلة من أصحابها، ويسمعون لكل نصيحة، لكن في مثل هذه الملمّات يجب قطع دابر الفتن من أصلها،** والذين وقفوا عن امتثال دين الله تعالى بموت رسول الله ﷺ سيمدون في واقعهم، وسيأتون على أحلام أكبر من هذه الصور بكثير، والحزم أن توأد فكرتهم من أصلها، وأن تكدّس تلك النوايا في قلوبهم، وأن تجتث الأفكار من أصلها، وأن يعودوا عبيداً لدين الله



تعالى كما كانوا أول وهلة، وقد كان بفضل الله تعالى ثم برأي هذا الكبير على اتخاذ القرار المناسب في زمانه ومكانه.

- بـدأ الحرب على الـردة بالكرِّ علـى القريبين حتى أذعنوا، ثـم كاتـب البعيدين عـن المدينة، ثم بإرسـال الجيوش المقاتلة لتلك الطوائـف، وقضى على تلك الفتنة في مهدها، وأعاد للدولة وهجها من جديد.

والشـــاردون عن الدين إن لم يجدوا من يردعهم في بداية الأمر وإلا كانوا فجوة في تاريخه ولو بعد حين.

إن القـوة تلثم أفـواه الناكصين، وتـرد غيهم، وتعيد انتظامهم في الصف ولو مرغمين، وتساهل البدايات مؤذن بفساد عريض.

لقد عاد تميّز الصف بعد أن بدأ يغصُّ بفوضى الخلاف والناكصين، ولم يبق أحد ينازع شوكة هذا الدين، وهذا هو الأصل وما عداه عارض يقدر بقدره. والله المسعان!..

❁ ❁ ❁





توسيع دائرة الدِّين

تفرَّغ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بعد ذلك لتوسيع دائرة الدِّين، وإعمار الأرض به، فجهَّز الجيوش لفتح العراق بقيادة خالد بن الوليد وآخرين، ثم توجَّه بجيوشه إلى الشام، حتى تم له ما أراد.

***

• **إدارة الأولويات شأن الكبار!** لقد أسكت المناوئين، وقضى على هيشات الفوضى أول وهلة، ثم عاد يوسّع في دين الله تعالى، ويقضي على كل مساحة يمكن أن تفتح عليه فَرْجاً في قادم الأيام.

وهذا هو شأن القادة والمصلحين، **وقلَّ أن تجد ناجحاً في عالم اليوم إلا وبينه وبين الأولويات صلة وعلاقة وطيدة؛ ينفذ بها ومن خلالها على آماله وطموحاته في الحياة.**



وإذا أراد الإنسان نجاحاً وإنجازاً ومقدرات يُسَرُّ بها مع الأيام؛ فعليه أن يقرأ ويتدرب على هذا المفهوم؛ فإنه من أعظم المفاهيم التي تعانق بصاحبها أحلامه وأمانيه.

وإذا قلنا لشيء: إنه أولوية؛ فهذا يعني أن تبدأ به يومك، وأن تمنحه من الوقت والجهد ما يكفي للوصول فيه للنهايات. وكم من إنسان يفوته هذا المعنى فيفوت بفواته الحياة. وكم هي الفوضى التي تجتاح أوقات الكبار والمصلحين اليوم فضلاً عن أوقات العامة! ومن فَطِن لهذا المعنى وأعطاه حقَّه بلغ منه أمانيه، والله المستعان!.

- **إذا أرادت أمةُ التمكينَ في الأرض؛ فلا بد أن ترفع راية الجهاد، وتكر على كل المُخذّلين والمعارضين.**

ليس من شأن هذا الدين أن يبقى محبوساً في بقعة أو مساحة من مكان، وإنما شأنه أن يمتدَّ في أرض الله تعالى حتى يأتي على أطرافها.. ولن يتم ذلك إلا من خلال أمة قادرة على إعمار واقعها بالعمل والنفرة براية الجهاد في ميادين القتال.

إن الفرد العاجز عن أداء واجباته ومشاريعه بفاعلية في الواقع الذي يعيش فيه لا يمكن أن يكون فرداً صالحاً في واقع أمته، وكم مرة ماتت أحلام الأمم بموت أفكار أفرادها!.

إن مسؤولية الحاكم كبيرة، وكم من حاكم صنع واقع أمة! لكن مسؤولية الأفراد ضخمة وهم أعوان الكبار، وإذا استوثقت الأمة من دينها وقامت بواجبها، وملأت مساحة واقعها، وعنيت بالممكن؛ أتت على أحلامها من أقرب الطرق وأيسر المسالك.







قصة الوداع

مرض الخليفة أبو بكر رضي الله تعالى عنه في شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر للهجرة النبوية، واشتدَّ به المرض، فجمع الناس وقال لهم: إنه قد نزل بي ما ترون، ولا أظنني إلَّا ميتاً، وقد أطلق الله إيمانكم من بيعتي، وحل عنكم عقدتي، ورد عليكم أمركم، فَأَمِّروا عليكم من أحببتم، فإنكم إن أمَّرتم في حياة مني كان أجدر ألا تختلفوا بعدي.

ثم شاور صحابته رضي الله تعالى عنهم فقالوا: رأينا رأيك. ثم قال لهم: أمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده.

فدعا عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وأسيد بن حضير، وسعيد بن زيد، وعدداً من الأنصار والمهاجرين؛ كلّاً على حدة، وكلهم يرى بأنه أهل لذلك، ثم كتب كتاباً عهد فيه بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه.

ثم استمر المرض معه خمسة عشر يوماً، حتى كان يوم الاثنين في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ثلاث

عشرة من الهجرة توفَّاه الله تعالى، وودَّع الدنيا بعد أن قام فيها بواجبه، ونصر دينه، وقام بما ائتمنه عليه رسوله ﷺ.

***

• توفي رضـــي الله تعالى عنه وأرضـــاه وهو ابن ثلاث وستين سنة، في العمر الذي مات فيه رسول الله ﷺ، وفي اليوم الـــذي مات فيه، وغســـلته زوجه أســـماء بنت عميس لوصيته بذلك، ودفن بجانب رســـول الله ﷺ، وصلى عليه الخليفة الراشد عمر، رضي الله تعالى عن الجميع.

• رحل من الدنيـــا بعد أن كتب فيهـــا أروع الأمثلة على تحديات العمل والبناء، ونصرة الأفكار والمفاهيم، وجهاد الأنفس، والغلبة على العقبات وعوارض الطريق.

• رحل بعد أن أصرَّ على فكرة الكمال، وحاول جاهداً أن يكوّن منظومة من التكامل قـلَّ أن تجتمع في غيره، وأصبح رأســـاً في كل باب، وســـيدخل يوم القيامة من أبواب الجنة الثمانية؛ دليلاً على هذا المعنى البهيج.

فرحمـــك الله يا أبا بكـــر، ورضـــي الله تعالـــى عنك، وجزاك عن الأمة كل خير وبر، ونلقاك في عرصات القيامة، ونَرِدُ وإياك حوض صاحب الرسالة، ونعيد جميعاً مثل هذه الذكريات في تلك المواقف. إنه على كل شيء قدير.

ثاني الخلفاء الراشدين

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

- الاسم والنسب.
- الميلاد والصفات الخلقية.
- أسرته.
- قصة إسلامه.
- ثمن العلم.
- صفاته.
- الغزوات.
- فضائله ومناقبه.
- ورعه وتقواه.
- القدوة.
- ورعه وخوفه.
- حياته وأثره في المجتمع.
- أمانيه ومباهجه.
- قصة الخلافة.
- الحريات.
- التاريخ الهجري.
- جهاده وفتوحاته.
- وفاته.

❁ ❁ ❁



الاسم والنسب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، ويكنى أبا حفص بابنته أم المؤمنين حفصة رضي الله تعالى عنها وأرضاها، وكانت أكبر أولاده.

❁ ❁ ❁

• **وإذا سمعت هذا الاسم في التاريخ قمت إجلالاً له وشرفاً بذكرياته، فهو تاريخ،** وكم من صالح ذاع صيته، ودُوّن اسمه، وكُتبت سيرته، وجُعلت ذكرياته آماداً في الحياة لا يمحوها الزمان! وكم من اسم طوته الأيام فلا تجد له ذاكراً ولا عنه متحدثاً!.





الميلاد والصفات الخلقية

ولد رضي الله تعالى عنه وأرضاه بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة. وكان أبيض أمهق تعلوه حمرة، طويلاً جسيماً أصلع كأنه راكب على دابة، قويّاً شديداً، يخضب بالحناء، طويل الشارب إذا حَزَبَه أمره أمسك به وفتله، وكان إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع.

***

• وللكبار سمات يعرفون بها، وقل أن تجد كبيراً مغموراً في سمته وواقعه، والتاريخ شاهد عيان.

وإذا منّ الله تعالى على عبد بنعمة كان من توفيقه أن يصرفها في طاعة ربه، وإذا قرأت سيرة هذا العَلَم بان لك دوره وأثره في تاريخ الإسلام. وكثيرون جدّاً لا يعرفون هذه الصفات الخلقية وإنما يتحدثون عن آثاره، ويتكلمون عن تاريخه، ويشهدون بمآثره.

وليس مهمّاً متى وُلـــدتَ ولا أين، ولا طولك من قصرك، ولا سوادك من بياضك؛ إنما المهم ما تاريخك وإنجازاتك وصناعتك في المســـاحة التي ولدت فيها وترعرت في رباها! هذه هي الذكريات فحسب.

- ليس مهمّاً تاريـــخ ميلادك الموســـوم في بطاقتك الشـــخصية، فذلك شـــأن لا علاقـــة له بذلـــك الرقم، ومجدك ونهضتك تلك المباهج التي عشـــت لها في أيام الدنيا، ولم ترحل من الدنيا حتى جعلتها دلائل على أيام خطوك في الحياة، وقد قـــال الأُوَل: **وكن رجلاً يقولون: مَرَّ، وهذا الأثر!.**

تاريخك الكبير هو المسافة والقصة وفصول المجد التي صنعتها بين يوم ميلادك ويـــوم وفاتك، وما عدا ذلك مجرد أرقام لا علاقة لها بالتاريخ في شيء. فقم إلى مســـاحتك واكتب فيها مشـــاهد نصـــرك، وخلّد فيها ذكرياتك، وارسم لنا مشاهد الحياة من جديد.

- **كان الكبـــار يســـتثمرون صفاتهـــم ومواهبهم وقدراتهم وإمكاناتهـم، ويستطيعـون توظيفهـا بالشكـل الأمثـل وفـي المكان المناســب،** ويبنون منهـا فـي مرات كثيـرة أمجـاد الدارين.

وهذه الصفات التي كان يتحلّى بها الفاروق اســتثمرها لصالح دينه، ووجَّههــا لبناء مســتقبله، وكتب من خلالها أحداث الحياة، وهذا نوع من فن الاســتثمار الذي يجب أن يتحلَّى به كل إنسان.

وما نصنع بمواهبنا ومهاراتنا وطاقاتنا إذا لم تجد لها مساحات تثري بها دين الله تعالى، وتوسِّع بها في مجده، وتبني بها ومن خلالها آمال الحياة.

كم مــن حق بلغ مــداه لتلك الصفات! وكــم من باطل توارى لتلــك الصفات! وكم من أفراح عمَّــت ديارًا، وحزن أطبق على ديار؛ لوجود هذا الكبير في تلك المســاحات أو تخلفه عنها.

وإن من المؤســف أنه في مرات كثيرة يمنحنا الله تعالى طاقات ومواهب وقدرات وإمكانات ومهارات، ثم لا يُعنى بها ولا تُستثمر، فلا يعان بها دين، ولا تمدُّ بها في مســاحة رســالة، ونموت وتموت معنــا لا تبقي لنا معالم للذكريات.

❁ ❁ ❁



أسرته

والده الخطاب بن نفيل، كبير قوم كانت تتحاكم إليه قريش، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة، وتزوّج سبع نسوة، وخلّف من الولد ثلاثة عشر ولداً.

***

- **للكبار أصل، وإذا رأيت كبيراً يطاول برأسه عنان السماء؛ فاعلم أن بينه وبين التاريخ صلة وذكريات.**

هذا الفتى من ذلك الشيخ، كانت قريش تقف مصطفَّة لتتحاكم إليه، وجاء هو ليصرخ في وجه الباطل، ويبدِّد اجتماعه، ويفل صفَّه ويعرقل سيره، ويمشي في أرض الباطل كيفما يشاء لا يخاف مخلوقاً في عرض الطريق.

- **الزواج نعمة، والمرأة الصالحة حياة،** وإذا تزوّج الإنسان بنية صالحة، وتشوّف من ذلك الزواج لمشاريع تُثري واقعه، وتخلِّد ذكره، وتأتي على مساحات آماله، وتعلي

دين الله تعالى، وتمد في مســاحته؛ كان ذا شأن في واقع صاحبه، وبنى منه أحداث التاريخ.

• لو لم يكن من أولئــك الأولاد إلا **عبد الله** الذي ملأ الكون أثــراً وروحاً، وتجــد ذكرياته في كل شــيء، وكان تاريخــاً كبيراً؛ لكفى.. وفــي الحديــث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.. أو ولد صالح يدعو له**».

وكم صنع هذا الولــد لوالده من تاريخ، فضلاً على أن يروي مساحاته بالدعاء. والله المستعان!.

❁ ❁ ❁





قصة إسلامه

أسلم رضي الله تعالى عنه وهو في السادسة والعشرين من عمره قبل الهجرة بنحو أربع سنين بعد أربعين نفساً من الرجال، واستبعد أهل الإسلام إسلامه حتى قال قائلهم: لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب. وتشوّف النبي صلى الله عليه وسلم لإسلامه قائلاً: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب».

وحين أسلم لم تعلم قريش بإسلامه، فقال رضي الله تعالى عنه: أيُّ قريش أَنْقَلُ للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجُمَحي. قال: فغدا عليه فقال له: أما علمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه، واتّبعه عمر حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش - وهم في أنديتهم حول الكعبة -! ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. فقال عمر رضي الله تعالى عنه من خلفه: كذب، ولكني أسلمت، أشهد ألّا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده

ورسوله. فثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم، ونال منه الإعياء فقعد.

وبإســـلامه عز الإسلام والمســـلمون، وصاروا يغشون الكعبة ويطوفون حولها ويصلون، ولا يخافون أحداً، قال ابن مسعود ﵁: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب ﵁.

وكان إســـلامه فتحاً على المسلمين، وفرجاً لهـم من الضيق.

***

- **لا تستبطئ أحداً، وإن طال انتظار لحظات الصبح في حياته! ومهما غابت الآمال من سيرة إنسان فسيأتي يوماً ما ويكتب حظه من واقع الحياة إن شاء الله تعالى.**

إن مشكلتنا هذه العجلة التي تسورنا في كثير من المواقف، فنصنع بيننا وبين الآخريـن خنادق لا تقبل الرجوع، ثم نراهم بعد ذلك يملؤون الدنيا فرحاً وبهجة، ثم نعود لأنفسنا لائمين.

لقد قال قائل المسلمين يوماً ما عن عمر ﵁: (**لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب**)، ومع ذلك جاء في النهاية وصنع مباهج الحياة ،وكتب تاريخه بمداد من ذهب، وصنع لأمته ما يعجز عنه فئام الرجال.



فلنصبر ولنمد في ساحات الدعوة، ولنبلغ جهدنا ووسعنا وكامل قدراتنا وإمكاناتنا نحو تلك الآمال التي نبعث بها في دين اللّه تعالى، لعلّ اللّه تعالى يُحْدِث بعد ذلك أمراً.

- **القـــادة والكبار يدركـــون أثر الرجـــال، ويتوقون لأيامهم، ويعيشـــون أماني انضمامهم لمشروع الإسلام الكبير!** (**اللهم أعز الإســـلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب**) واستجاب اللّه تعالى دعاء رســوله ﷺ ، وجاء اللّه تعالى به في النهاية يتهادى إلى دينه، فأسلم وحسن إسلامه، وخلّد في الإسلام ذكرى، وكتب واقعاً، ومدَّ في مســاحات البهجة، وحصر الباطل في أضيق نطاق، وكان صانعاً للحياة وما يزال.

- أســلم كبير قريش وصاحــب رايتهــا، وتحوّلت كتلة الباطل بكلِّ قواها إلى مساحة الحق، وبدأت دولة الإسلام، **والكبار يصنعون فارقاً في مســـاحاتهم، ويحيلون ســـني الواقع المتصحّرة إلى مســـاحات خضـــراء، وتبدأ رحلة النصر تأخذ بُعداً آخر في واقع الأحداث.**

والكبار يؤثِّرون في كل مــكان، ويكتبون حظهم من كل مساحة، ولا تسعهم الفرجة على أحداث قومهم ومجتمعاتهم، بل تجدهم يشاركون ويصنعون واقعاً مليئاً بالفأل والأمل.

كم من مثقف قاعد على أريكته والأمة في أحوج ظروفها إليه!.. وكم من مضيّع لأوقاته هائـم على وجهه؛ لا يملك هدفاً، ولا يكتـب قصة، ولا يـدوِّن رحلة مشـروع! قد ملَّه سريره، وضجَّ منه واقعه!..

- **إن للمعرفة ثمن، وللإسلام واجب، وللواقع رجال!** وما كل مثقف ومسلم وإنسـان قادر على إسعاد العالم من حوله ما لم تغمره مشـاعر الفرح والسرور بما هو فيه من نعمة، ويعلم يقيناً تبعات هذا المعنى الكبير.

- **الإيمان بالأفـكار يصنع واقعاً مختلفـاً، والعقائد الصلبة تحمل همومها إلى أقصى درجة، والحياة إذا درجت في قلب إنسان ومشاعره صنعت فارقاً بهيجاً في واقعه.**

كم هم الذين أسـلموا وعاشـوا لذة هذا المعنى في حياتهم، ووجدوه في قلوبهم، وكان هو أعلى ما حقَّق لهم الإسـلامُ! وكم هم الذين وجدوا الإسلام فهرعوا للعالم يغيثونـه بالهداية! رحمك الله يا أميـر المؤمنين ورضي عنك وأرضاك.

- **على الدعاة وأصحاب المشـاريع أن يضعوا أعينهم على المتفوِّقين والمبدعيـن والمتميِّزين، ويركزوا على اسـتثمارهم**، وكم من صغير اليوم حمل راية الإسلام في



الغد! وكم من كبير احتاج إلى جهد مضاعف حتى يعود بمساحات الأمل التي يرجوها منه هذا الدين!.

كان رسول الله ﷺ يتوق وبشوق إلى مَشَاهد هذا الرجل في ربوع الإسلام والمسلمين، وقد كان يقول: (**اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك: بأبي جهل بن هشام، أو بعمر بن الخطاب**).

ومن فقه الدعوة أن تركّز على أولئك المتميِّزين في باكر أعمارهم، وتعينهم على فقه هذا الدين، والإيمان به، والنهوض بأفكاره في مستقبل الأيام.

- خرج رضي الله عنه لذات الفجاج التي كان يطارد فيها الإسلام؛ ليبني فيها صروحاً جديدة من الأمل، ويثير فيها واقعاً جديداً من التحديات، وقرر أن يعيد الربيع للمساحات التي أجرى فيها الصحراء في باكر عمره وجاهليته!..

- خرج على مشركي قريش فقاتلهم، حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّى معه المسلمون، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه: **ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر**، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نطوف بالبيت ونصلي حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا فصلينا وطفنا. اهـ.

رجل واحد يقف في وجه الباطل، ويرد كيده، ويحسر زحفه، ويعيد حساباته!.

واشوقاه يا عمر! **ما أحوج هذه الأمة للرجال! ما أحوجها لصاحب راية! ذاك رجل يبسط البهجة في رحاب أمته، ومساحات دينه، وواقعه،** وهؤلاء رجال لم يشبعوا بعد من الجلوس على أرائكهم وقد بقوا عليها زماناً طويلاً!.

يا قرّاء هذا الحرف أما فينا صاحب راية يأتي على أماني هذه الأمة من خلال مشروع؟.. أما فينا رجل يَهُبُّ من فراشه وينفض غبار هذا القعود المشين عن واقعه؟.. يا سقى الله زمانك يا عمر! لا عقمت أرحام النساء من أمثالك يا عمر!..

- **الشجاعة الشجاعة يا قوم! ما تصنع الأمة بصالح جبان؟!** وما لها ولفرد لا يبين عن رأيه، ولا يفصح عن منهجه، ولا يتشرّف برسالته، ويظل محسوراً في أضيق نطاق؟!..

***





ثمن العلم

١ ـ كان رضي الله تعالى عنه مثيراً في العمل والإخلاص والتقوى والعبادة، للدرجة التي كان يُبْكيه القرآنُ حتى يُعاد من أثر ذلك، ونزل القرآن موافقاً له في قصة ترك الصلاة على ابن أبيّ، وفي أسرى بدر، ودعائه في تحريم الخمر، وفي اتخاذ المقام مصلًّى، وفي حجاب النساء.

حتى قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا نائم، أُتيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الريّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب» قالوا: فما أوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «العلم».

قال الحافظ ابن حجر: العلم: أي العلم بسياسة الناس بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

❁ ❁ ❁

• وقلَّ أن تجد عَلَماً ذاع صيته إلا وتجد له صلة بمشروع! وما تصنع شجاعة عمر بلا فقه وعلم؟! وكم من

شجاعة لا يمسك زمامها العلم، ولا تقودها الحكمة؛ صارت وبالاً على الأمة، وواقع اليوم خير الشاهدين!.

• **العلم الخشية!** وما أزكى رجلاً بآثار العلم! وما أكثر المتكثرين بالعلم على العمل! ما أحوج الأمة للمتقين، وما أبهج صفوفها بهم! **وما نصنع بركام المعرفة إذا لم تُفْضِ بصاحبها إلى منازل الخاشعين؟!** كل علم لا تَرِقُّ به دمعة، ولا يكتب في قلب صاحبه خشية، ولا يصنع خندقاً بينه وبين المشتبهات فضلاً عن المحرمات؛ فلا حاجة للأمة به!.

كم من قليل في هذا الشأن أجرى دموع أصحابه! وكم من كثير تقحّم به صاحبه المشتبهات! ما لنا ولرفوف المكتبات ودروس العلم إذا لم تصنع في قلوبنا الخوف، وترزقنا الخشية، وتجعلنا نترك ما لا بأس به خشية مما به بأس؟!..

كم من طالب علم يفري مسائله كأنه يراها رأي العين، ويتقحّم أعراض المسلمين كل لحظة! وكم من ضعيف علم يتورّع عن كثير من المباحات!.

• **هل تصوَّرْتَ يوماً أن ينزل الوحيُ كلامُ اللّٰه تعالى على كلام إنسان!** هل تصوَّرْتَ أن يقول إنسان كلاماً في حادثة تنزل بالمسلمين، ثم يأتي الوحي بتصديقه! **ربما لا يتصوَّر إنسان ذلك فضلاً على أن يراه واقعاً في سيرة عمر** رضي الله تعالى عنه .

ولك أن تتساءل: ما الذي أجرى لعمر هذا المعنى دون غيره؟.. ما الذي جعل الوحي يتتبع أثره، ويأتي على حديثه، ويعزز رأيه، ويأتي على أمانيه؟! هكذا تصنع الخشية والتقوى وصلاح الإنسان مع ربه تعالى، تبلغ بصاحبها إلى أبعد مدى، وتجعله صورة للحضارة المعنوية التي تجتاح مشاعر إنسان حتى قال ﷺ : «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمر**».

***

٢ ـ حدّث النبي ﷺ ذات يوم قائلاً: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» فقال عمر رضي الله عنه : والله لأنت أحبُّ إليّ من كل شيء إلَّا من نفسي. فقال ﷺ : «لا والذي نفسي بيده حتى أكونَ أحبَّ إليك من نفسك» فقال عمر: فإنه الآن، والله لأنت أحب إليّ من نفسي. فقال ﷺ : «الآن يا عمر».

***

• فتأمَّل هذه الصَّراحة! وانظر فيها إلى القدوات، وعاين هذا القلق على الإيمان! **الصدق الصدق يا كبار! ما أكثر التورية في زماننا! وما أكثر الترخُّص فيها!** وعمر رفض أن يجاوز الموقف حتى يتأكد من سلامته،

وخشـــي من ضعف الإيمان، فبادره بالحقيقة كما هي دون خوف أو حرج.

مـــا زان رجل مـــا زان بالصـــدق! وما رأيـــتُ خبيئةً صالحةً أعجل لصاحبها بالثمار كما رأيتُ خبيئة الصِّدق! **الوضوح خُلُق المســـلم ودينه وطويته وسريريته، بل - والله - هو كل شيء.**







صفاته

كان رضي الله عنه عظيم الخشية لربه؛ ذَكَّرَه أعرابي بحاجته ومواقف الحساب بين يدي ربه، فبكى بكاءً شديداً، ونزع قميصه وأعطاه قائلاً: واللّٰه لا أملك غيره.

وما أكثر ما كان يردِّد: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨].

وكان زاهداً تقيّاً، قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: واللّٰه ما كان عمر بن الخطاب بأقدمنا هجرة، وقد عرفتُ بأي شيء فضلنا؛ كان أزهدنا في الدنيا.

وكان ورعاً حتَّى إنه كان يتحرّج من الأكل من مال المسلمين العام، قال أنس رضي الله عنه: خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً حتى دخل حائطاً، فسمعتُه يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر بن

الخطاب أمير المؤمنين: بـــخ، بخ، والله يا بن الخطاب لتتقينَّ الله، أو ليعذبنَّك.

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع قوته وشدته حليماً؛ دخل عليه عيينة بن حصن، فقال: هيه يا بن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل. فغضب عمر حتى همَّ أن يوقِعَ به، فقال له الحرُّ: يا أميـــر المؤمنيـــن، إن الله تعالى قال لنبيِّـــه ﷺ : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، **وإن هذا من الجاهلين. قال: والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله تعالى.**

***

• هكذا هو العلم، وهذه بعض آثاره على أصحابه! **وما رقى ذلك الجيل، وما عظم هذا الكبير إلا بمواقف التقوى والصلاح التي تعمر قلبه وحياته.**

كل علم لا يرزق صاحبه الخشـــية فـــلا مفروح به! لا ترقـــى النفوس بكثـــرة مســـائل العلم، وإنمـــا بأثر تلك المسائل في واقع صاحبها.

العلم الخشـــية، والدمع الذي ينزف من أثره هو أبلغ شـــيء على هذا المعنى الكبير في حيـــاة صاحبه، وإذا لم



تحتفِ النفوس بالعلم وتصنع به مثل هذه المباهج؛ فلا قيمة له في واقعها مع الأيام.

كثر العلم، وانتشرت الكتب، وتنوَّعت وتعدَّدت وسائله، وقلَّتِ الذكرى والعظة به! فقلَّ أن تجد متخشِّعاً من أثره، أو تقيّاً بمباهجه، وهذه واللّٰه الرزية؛ نسأل اللّٰه تعالى العافية.

- **الوعي بالآخرة، والاستعداد الأمثل لها، وجعلها القضية الكبرى في حياتنا؛ هو الفقه الأعظم الذي ينبغي أن يجري في كل شؤوننا؛** كما قال رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وإذا غاب هذا الفقه لم يعد ثمة شيء في واقع صاحبه! وكم من مدلٍ على اللّٰه تعالى بعمله! يقوم بركعات من الليل، أو يصنع معروفاً؛ فيظن بأنه طاف الدنيا صلاحاً وورعاً وإخلاصاً، واللّٰه المستعان!.

بدأت الآخرة وأحاديث الموت تتقلّص في قلوب كثيرين، وترى في مقابل ذلك الازدحام على الدنيا والتنافس فيها والتقاتل عليها بكل وسيلة ممكنة.

- **ما أحوجنا للفقه بالآخرة وجعلها أصلاً في كل خطوة وكلمة ونية ،وهذا هو شأن الصالحين في كل زمان.**



ومن فقه زمانه ووعى ظروفه وأحداثه؛ أدرك أن هذه الرؤية بحاجة إلى إعادة تأهيل في واقع الحياة. وإن لم تتدارك في نفوس الصالحين فضلاً عن غيرهم؛ وإلَّا غابت مع الأيام، واستبدلت بما هو أدنى، والله المستعان!.

• **ما أروع هذا المعنى: (وكان وقّافاً عند كتاب الله!)**، ما أحوجنا إلى معناها وأثرها ومساحتها!.

ما أشد القوارع التي تُتْلى على أسماعنا، وما أقلَّ الذكرى بها! كم من آية تتلى على آذاننا وفيها واعظ الذكرى، ولم تأخذ حظَّها بعد من واقعنا! كم من قارعٍ يدلف على قلوبنا كلَّ وهلة، ولم يستعمر مشاعرنا بعد! كم هي حاجة الأمة اليوم إلى هذا المعنى (**وكان وقّافاً عند كتاب الله**)! وإنَّ أمةً يُراد لها العز؛ لهي في أمسِّ الحاجة أن يفقه أفرادُها هذا المعنى بجلاء!.

مؤلم أن نتصفَّح كتاب الله تعالى ونأتي عليه من أوله إلى آخره، ثم لا نجد آية تستوقفنا، أو حتى تأخذ بمشاعرنا! وعمر رضي الله تعالى عنه **كان وقّافاً عند كتاب الله تعالى**!.

• **بالأمة اليوم ضرورة ملحَّة جدّاً إلى استلهام الحياة من القرآن، وإعادة قراءته قراءة وجدانية مشاعرية، وبناء تصرفاتنا كلها على مفاهيمه وأفكاره وتصوراته، وما لم**



تتحوّل طاقات الأمة إلى هذا الوعي بالوحي؛ وإلّا سيطول انتظار الفجر في واقعها.

هذا المعنى هو الذي صنع الفارق بين تلك الأجيال وأجيالنا.. كانت تلك الأجيال تحتفي بالوحي إلى أبعد درجة، وتراه كل شيء، وأجيال اليوم تجهد وسعها في التخفُّف منه، والتقلُّل من أحماله وأثقاله، وتجهد بكلِّ ما تملك في الفكاك منه.

بالأمس كان عمر وقّافاً عند كتاب الله تعالى، واليوم في المسألة قولان وثلاثة، وأفتى فلان بكذا، وتتغيّر الفتوى بتغيّر الزمان؛ حتى بات النصُّ الشرعيُّ ـ أو يكاد ـ شيئاً لا معنى له في عقول كثيرين، ولا روح له في مشاعرهم، والله المستعان!.

وإذا أرادت الأمة الاستعلاء؛ فلتسعد بالوحي، ولتفرح بالنصِّ الشرعي، ولتحتفِ به وتجعله أصلاً في كل شيء.

* * *





الغـــزوات

لم يتخلَّف عمر رضي الله تعالى عنه عن غزوة من الغزوات مروراً ببدر وأُحد والمشاهد كلها، قال النووي رحمه الله تعالى: شهد عمر رضي الله تعالى عنه مع رسول الله ﷺ بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحنيناً والطائف وتبوك وسائر المشاهد. اهـ.

❁ ❁ ❁

• ما تخلَّــف عمر رضــي الله تعالى عنــه وأرضاه عن مشــاهد العز والعمل، وظل حاضراً مرابطاً في ســاحاتها، **والكبار كذلــك لا يتخلفون عن مشــاهد الفضيلة، ولا يتأخرون عن العمل والبناء، وهم أصحاب رايات المبادرة في كل حين**، ولا يُعرف التخلُّفُ اليوم إلَّا من الأدعياء!.

علينــا أن نؤمــن أن أعظــم البراهين على حيــاة قلبك ومشاعرك وواقعك أن تكون مشــاركاً في كل راية؛ سواء في فكرتها وميلادها في أول وهلة، أو في مشاهد العمل والبناء



في أحداثها؛ حتى تكون واقعاً مشـاهداً في تاريخ أمتها بعد ذلك.. ولا يكاد يُعرف التخلّف إلّا عن منافق أو مبتلًى بالعجز والكسل والقعود عن ساحات الخير والفضيلة.

- **الكبار هم صناع الأحداث، وأصحاب الرايات، وقلَّ أن تجد اجتماعاً يُذْكي سـاحات الفضيلـة إلّا وهم أصحاب فكرته، أو شـركاء في بنائه**، ومن تخلَّف مـن الكبار عن مواقع الفضيلة، وتأخَّر عن مشاريع النهضة؛ فقد تخلَّف عن مناهضة عدوِّه، واكتفى بالظلال!..

وقلَّ أن تجد رسـولَ الله ﷺ في موقـف إلا وعمر بجانبه، والمواقف تحكي صوراً مثيرة في مثل ذلك:

- ففـي **حديث جبريل الطويـل** الذي قَـدِم فيه على النبي ﷺ؛ قـال ﷺ : «**يا بن الخطاب هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم**».

- **وحين أقبل أبو هريرة** رضي الله تعالى عنه يريد إبلاغ الناس ببشارة رسـول الله ﷺ: «**اذهب بنعلي؛ فمن لقيته من وراء هذا الحائط يشهد ألّا إلٰه إلا الله؛ مستيقناً بها قلبه؛ فبشره بالجنة**» ضربه عمر حتى خـرَّ صريعاً على الأرض، وأعاده للنبي ﷺ رافضاً فكرة البلاغ.

ـ **وفي قصة حاطب:** دعني أضرب عنقه يا رسول اللّٰه..

ولـــو تتبعت تلــك المواقــف لَــكَلَّ قلمُــك مــن طولها في حياته رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .

• **إن مناهضة العدو لا تأتـــي من خلال كلمات مبتورة عن واقعها، ولا عن قرارات مفصولة عن تطبيقات صاحبها العمليـــة، وإنما تأتي من خـــلال المشـــاركة الوجدانية العاطفية الشـــعورية، ومن خلال بـــذل الأوقات والأفكار والأجساد في سبيل تلك المعاني.**

ما قيمة إيمان عمر برسول اللّٰه ﷺ وعقيدته وفكرته التي يجوب بها فـــي العالمين إن لـــم يكن لها رصيـــد ضخم في مشاعره وعواطفه، ورصيد أكبر في واقعه وعمله؟!..

• كم هي المشـــاريع والأفكار والمساحات التي تنتظر شـــبيهاً لعمر في عالم اليوم؛ كلّما دقّ جرسُها في باكر يومٍ دقّت شـــجونها في قلـــب مُصْلِـــح يتحمَّل أعباءهـــا، ويقوم بأثقالها، ويسقي بها العالمين!.

لا أعرف سوءة كسوءة صاحب مشـــروع تبرَّع بحمله، وتكفَّـــل بنهضته، والتـــزم بنجاحه، ثم ذهـــب لضيعته وشجونه الدنيوية، وتركه يرزح في فراغ الضياع.

وأسوأ من هذا من لم يأتِ من الأصل، واختار سرير بيته أو فراش مزرعته أو ظلال جلسات الأصدقاء والخلّان، وقعد عن فضائل الحياة ونهضة المشاريع.

أمّا عمر رضي الله تعالى عنــه وأرضاه فلم يتخلّف عن رسول الله ﷺ في مشهد من مشاهد العمل، ولازمه في أحلك الظروف وأكثرها خطراً وألماً، وجاد بنفسه في سبيل الله تعالى، وحمل مشـــروع العقيدة، ونافح عنها، وبسط لها من سنام وقته وجهده ومشــاعره حتى فارق الدنيا. والله المستعان!.

***



فضائلـه ومناقبـه

١ ـ كان رضي الله تعالى عنه عظيم الإيمـــان، حتى قال صلى الله عليه وسلم : «بينا أنا نائم رأيتُ الناس يُعرضون عليّ وعليهم قُمُص؛ منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، ومرَّ عمر وعليه قميص يجره» قالوا: فما أوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «الدين».

وكان رضي الله تعالى عنه عالمـــاً ذكيّـــاً، وفي (الصحيحيـــن): أنَّ رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بينا أنا نائم شربتُ ـ يعني اللبنَ ـ حتى أنظر إلى الري يجري في ظفري أو في أظفاري، ثم ناولت عمر» قالوا: فما أوَّلْتَه يا رسول الله؟ قال: «العلم».

وبلغ رضي الله تعالى عنه مبلغاً مثيراً في واقعــه للدرجة التي يفرُّ الشـــيطان من طريقه، وفي (الصحيحيـــن): قال صلى الله عليه وسلم : «يا بن الخطاب، ما لقيك الشـــيطان سالكاً فجّاً قط إلا سلك فجّاً غير فجك».

***

- **الكبار والمؤثِّرون وحُمَّال الرايات يستثمرون مواهبهم وطاقاتهم وقدراتهم وإمكاناتهم لأقصى درجات الفاعلية**، ويبنون من خلال تلك القدرات والإمكانات أعظم وسائل التأثير، ويأتون من خلال تلك المعاني على كل شيء، ويبنون للأمة صروحاً من خلال تلك المعاني.

ما رأيتُ مثيراً في واقعه إلَّا وقد أدرك نقاط قوته، ومكامن تأثيره، وأبرز مقومات النجاح لديه، ثمَّ جهد في تكوينها مع الأيام حتى بات علامةً فارقةً في واقعه.

- **مشكلتنا اليوم مع أنفسنا وليست مع عدوِّنا، نملك كل شيء وقد لا نقوم لهذه الأمة بشيء!** ولو أن الواحد منا التفت إلى بعض هذه المقدرات، وعُني ببعض الأوقات؛ لصنع منها قصة مجده وتاريخه في الدارين.

وما هذا الإيمان والعلم والتقوى والصلاح التي بناها عمر لنفسه إلَّا صناعة واستثماراً للمقدرات التي وهبه اللّٰه تعالى إياها.

ولعل سيرة هذا الكبير وقبله سيرة أبي بكر رضي الله عنهما تنقلنا من واقعنا المحصور ومساحاتنا الضيقة، إلى مساحات أوسع وأرحب وأمكن في قادم الأيام.



• **إذا توافر في الإنســـان الإيمان، وجمَّله بالصدق، وزيَّنه بالتقوى؛ بلغ مثل هذه المراتب الكبار!** ومن تصوَّر هذا المعنى على حقيقته، وعلم أنه لا سبيل للشيطان على رجل من لحــم ودم؛ أدرك ما يصنــع الإيمان والصدق في حياة إنسان!.

ما أحــوج هذا الموقــف: «**يا بن الخطــاب، ما لقيك الشيطان سالكاً فجّاً قط إلَّا ســلك فجّاً غير فجك**» إلى إعادة قراءة!..

رجل تبلغ به التقوى أن يجانب الشيطان طريقه، ويبحث عن فِجاج غير فِجاجه! إنها آثار الإيمان تُثير في القلوب مثل هذه المباهج الكبار.

كم مــن صالــح يتعثّر فــي أول الطريــق، وينكص من بداياته؛ تغلبه شــهوة، ويدفع به الهوى للدرجة التي يتنازل فيها عن بعض قيمه ومبادئه.. وتبلغ بِعُمَرَ الأماني إلى صور قد لا تجد لها مثيلاً في التاريخ.

هذه هي قصــة الفرد الصالح للبنــاء، والقادر على المســاهمة في نهضة أمته، والباعث للأشواق في واقعه! وما كان رضي الله تعالى عنه ســوى لحم ودم، وفي إمكان كلِّ ناهض أن يجري نهر الحياة على أمته كما أجراه عمر، لا فرق، وإذا



عظمت الأماني فلا تسل عن التحديات والبراهين في واقع صاحبها.

❁ ❁ ❁

٢ ـ **وقد شاع نفعه للأمة، وبان أثره، وتعددت مصالحه، حتى قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ في المنام أني أنزع بدلو، فجاء أبو بكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، والله يغفر له، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غرباً ـ** تحوَّلت من الصغر للكبر ـ **فلم أرَ عبقريّاً يفري فريه، حتى روي الناس وضربوا بعطن».**

ولم يرحل رضي الله تعالى عنه من الدنيا حتى عمَّ خيرُه، واتسع أثره، وكتب حظّاً وافراً للإسلام وأهله. فرحمه الله تعالى ورضي عنه، وجزاه ما جزى كبيراً في واقع أمته.

❁ ❁ ❁

• هذه هي آثار ذلك الرجل، وتلك هي فضائله، غير أن **هذه المِنَح لا تنزل على أصحابها باردة، ولا تأتي إليهم وهم قاعدون على أسِرَّتهم، وإنما تنزل على المبادرين إليها، المتلهِّفين لها،** المنتظرين هباتها وهم في ساحات العمل والبناء.

ما رأيتُ مستقبِلاً للخيرات إلَّا وناله من أثرها وأصابته بهباتها، وبنت له أحلاماً من جهد عمله، وعرق جبينه، ومن أراد فليس بينه وبين تلك المعاني سوى العمل.

- **كل فرد يملـــك رصيداً ضخماً لأمتـــه، ويمكنه أن يشـــارك في مد ســـاحات الربيع في واقعها، ولكن ذلك مشروط بإعداد نفسه، وتأهيلها للعمل قبل كل شيء.**

كم هو أثر عمر على أمته! وكم هي أحداثه في واقعها! لقد جاء إلى الأرض وصنع فيها فارقاً.

كانت الدنيـــا قبل عمر لصالح الكفـــر والكافرين، ثم عادت بعوده لصالح الإسلام والمسلمين، وما كان المسلمون يصلون عند المســـجد الحرام لقوة العدو وعناده، ثم لمَّا جاء هشّـــم تلك القوة، وجعلها لا شـــيء، وأضحى الإسلام كبيراً بقدومه، وكذلك بهيجاً بواقعه!.

- **ما دورك** في بيتك، وحيِّـــك، ومجتمعك؟ ما أثرك في وظيفتك ومشـــروعك؟ مـــاذا قدَّمْتَ لمســـجد حيِّـــك وجامع مدينتك؟ ماذا قدَّمْتَ لمجتمعك ووطنـــك وأمتك إلى تاريخ هذه اللحظـــة؟ ما الأحداث التي صنعتَهـــا، والفروقات التي بسطتها، ومســـاحات الربيع التي مدَدْتَها؟ هذه هي الحياة، وما عدا ذلك لا قيمة لـه في واقع إنسـان. والله المستعان!.



ورعـه وتقـواه

كان رضي الله عنه مُجِلّاً لربه، معظّماً له، قائماً بحقوقه، وَجِلاً من لقائه.

كان كلّما قُدِّم له شيء من الطيبات، عاد لقراءة قول الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وتركه قائلاً: نحن أعلم بلين الطعام من كثير من آكليه، ولكننا ندعه ليوم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

وكان ورعاً يتحرَّى ما يأكل، ويهاب أن يضع يده في شيء من مال المسلمين العام.

وقد سقاه عامله يوماً من لبن ناقة من عرض الطريق، فأنكر لبنها، فذكر له العامل أن ناقته ندّتْ وشربها ولدها، فقال: ويحك تسقيني ناراً!.. ثم استحلَّ اللبنَ من صاحب الناقة فيما بعد!.

وكان شديد التواضع؛ خرج في يوم صائف ليطلي بعيراً من إبل الصدقة بالقطران، فرأى الأحنفَ فقال: هلمَّ فأعن أمير المؤمنين. فقال رجل: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلَّا تأمرُ عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟ قال: وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف؟! إنه من وَلِيَ أمرَ المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده في النصيحة وأداء الأمانة.

وقال عروة بن الزبير: رأيت الخليفة وعلى ظهره قربة ماء، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا. فقال: لمَّا أتى الوفودُ سامعين مطيعين؛ دخل نفسي نخوةٌ، فأردتُ أن أكسرها.

وقال أنس رضي الله تعالى عنه: سمعت عمر بن الخطاب يوماً وقد دخل حائطاً وهو يقول: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين! بخٍ، والله يا بن الخطاب لتتقينَّ الله أو ليعذبنَّك.

***

- **هذا هو الوعي الذي يصنع الحياة، وإذا فقه الإنسان ما ينتظره بين يدي الله تعالى يوم القيامة صنع كل شيء.**

وإذا كانت الدنيا في يد إنسان، ويملك منها كل شيء، ويمكنه أن يقضي منها وطره بالطريقة التي يشاء، ثم تجده

يتجافى عنها ويدفع بها، ويتحسَّس من كلِّ وارد منها؛ رغبةً فيما عند اللّه تعالى يوم القيامــة؛ فذلك هو الفلاح، وإذا صلحت القلوب صنعت هذه المشاهد بإمعان!..

- **أين هــذه الصورة مــن واقع اليــوم؛ من صور المتهوِّكين فــي المال العــام، والطائشــين في أموال المســلمين بغير حق ولا برهان!** كم من مال سرقته أيدي الظالمين باسم الانتداب، أو خارج الدوام، أو مقابل أعمال وهمية، أو صور بلا حقائق وبراهين! وكم من مال عام ذهب في أعمال غشٍّ ومن خلف الســتار وفي الظلام؛ أخذوا بها سحتاً، وتركوا بها عاراً وديناً في ساحات القيامة.

- **الاســتعلاء الحقيقي أن تكون علــى رأس الهرم، وتملك كل شيء، وتستطيع أن تصنع ما تشاء؛ ثم تترفَّع عن الزائل، وتســتعلي عن الحطام، وتبتغي ما عند اللّه تعالى في النهاية.**

والورع الحقيقي أن تنأى بنفسك عن كل شبهة يمكن أن تدنّس مالك وتشوّه طريقك وتبعثر دينك وأمانتك وتقواك وتأتي يوم القيامة مديناً ظالماً!.

عاشــرتُ زمناً من كان إذا غاب عن العمل الرسمي يدفع خمس مئة ريال مقابل اليوم الذي يغيبه، ويســلِّمه

مدير الدائرة ليشتري به ما يعين على إثراء واقع العمل، ويتخلَّى من تبعات مال المسلمين رغم حاجته وظروفه.

ورأيتُ مـــن يتحرَّج من الكتابة لشـــأنه الخاص في أي ورقة فارغة من مال المســـلمين، وإذا احتاج للتصوير من تلك الدائرة الرسمية دفع مقابل ريال التصوير في الخارج خمسة ريالات أو عشرة؛ خروجاً من تلك التبعات.







القــدوة

١ ـ كان رضي الله عنه حازماً مدركاً لأثـــر القدوة وتبعاتها في واقعه، فكان مثالاً فــي كلِّ معانيه، ومـــا تقواه وخوفه وخشيته وتواضعه إلَّا جزء من مساحة عريضة من واقعه التطبيقي للإسلام، وقد تجاوز ذلك إلى بيته وأهله.

فقد روى الإمام مالك في (الموطأ) بسند صحيح: عن زيد بن أسلم، عن أبيه: أنه قال: خرج عبد الله وعبيد الله ابنا عمر بن الخطاب في جيش إلى العراق، فلما قفلا مرَّا على أبي موسى الأشعري وهو أمير البصرة، فرحَّب بهما وسهّل، ثم قال: لو أقدر لكما على أمر أنفعكما به لفعلت، ثم قال: بلى هاهنا مال من مال الله تعالى أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين، فأســلفكماه فتبتاعان به متاعاً من متاع العراق، ثم تبيعانــه بالمدينة، فتؤدِّيان رأس المال إلى أميــر المؤمنيــن، ويكون الربح لكمــا. وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك، فلمَّا قدما باعا فأُربحا، فلما دفعا

ذلك إلى عمر قال: أكلُّ الجيشِ أسلفه مثل ما أسلفكما؟ قالا: لا. فقال رضي الله عنه: ابنا أمير المؤمنين فأسلفكما!.. أدّيا المال وربحه.

***

- **هذه مشاهد القدوة وحقائقها الكبرى التي يجب أن تجري في واقع كلِّ فرد في الأمة صغيراً أو كبيراً، مسؤولاً أو غير مسؤول!.**

كم مرة ضاعت مشاهد القدوة على أيدي أهل بيت الآمر الناهي! وكم مرة سمع الناس حديثاً عاطراً من إمام جامع أو معلِّم أو ربِّ أسرة أو مسؤول، ثم ذهبوا يبحثون عن مشاهد القدوة؛ فلم يجدوا شيئاً يحتفلون به في واقع صاحبه!.

إذا أردت أن تكون كبيراً مؤثِّراً ترى أثر ما تدفع به من جهود في واقعك؛ فعليك بمشاهد القدوة، وإياك أن تأمر الناس بشيء وتتخلَّف عن تطبيقه، فيتربى الناس على أن حديث الواعظين لا قيمة له، وفي كتاب الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢].

وما أصدق ما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الناس مجبولة على عدم الانتفاع بكلام من لا يعمل بعلمه ولا ينتفع به. اهـ.



• **إن من أقبح الصور وأشدها مرارة: أن ترى مسؤولاً في دائرة من الدوائر يُحابي ولده وصديقه وأقاربه،** فيمنحهم ما هم فيه والمسلمون سواء، ويسوّغ لنفسه حقوقاً ليست له، ويقدم في هذه الأمانات من لا يستحقُّها، أو ليس أولى بها من غيره، وتصبح هذه الأماكن مرتعاً للظلم والفساد والفوضى.

وعمر رضي الله عنه في هذا المشهد يؤكد ضرورة القدوة، وأنَّ أولاده ضمن أبناء الرعية لا فرق.

❁ ❁ ❁

٢ - **بدأ رضي الله عنه بمنع أهله من الاستفادة من المرافق العامة التي رصدتها الدولة لفئة من الناس؛ خوفاً من محاباة أهله في ذلك، قال عبد الله بن عمر: اشتريتُ إبلاً، فأنجعتُها الحمى، فلمَّا سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر. فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، بخ.. بخ، ابن أمير المؤمنين.. فقال: ما هذه الإبل؟ قلتُ: إبل اشتريتُها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون. قال: فيقولون: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير**

المؤمنين، يا بن عمــر، اغدُ إلى رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين.

***

- **ولا يأتي الدرسُ واضحاً مؤثِّراً كبيراً في واقع الناس إلَّا بهذه الصورة الحية في واقع القدوات!.**

ابن عمر واحد مــن الخلق، وبضعة مــن القوم، ولكن أثقال القدوة لا تسـمح له بأن يباشـر كل شيء، وعليه أن يعلم أن أعين الناس معقودة علــى رؤية كل فرد من أقارب صاحب الولاية، ولا يحتفل في العادة بشيء ويأخذ موقعه في نفوس القوم إلا ما كانت القدوة فيه حاضرة وبإمعان.

- **من أعظم ما ابتُلي به المسلمون في هذا الزمان رقة دينهم في المال العام، والتهوُّك في حقوق المسلمين بغير** حق، والاعتداء على أموال الرعية بالظنون والأوهام.. وكم من مال مستلب أودى بالضياع على صاحبه دون وعي! ماذا لو علم الإنسان أنه سيقف بين يدي الله تعالى ويجري عليه حســاب ماله وحقه الخاص؟!: «**لا تــزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع.. وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟..**» فكيف بمال لا حق له فيه، وإنما تخوّض فيه

ظلماً وزوراً وعدواناً! كم هي الانتدابات التي اختلسها أصحابُها من المال العام بأعذار لا حجة عليها يوم الحاجات! وكم هي المشاريع التي تناقلتها أيدي المقاولين حتى انتهت عند عاشرهم بعد أن أكلوا منها حتى الشبع! وكم هي المشاريع التي أرسيت على أصحاب الرشاوى والخونة، وضاع كثير من مصالح المسلمين في غير طريق! فإنا لله وإنا إليه راجعون!..

***

٣ ـ **قال معيقيب: أرسل إليّ أمير المؤمنين، فأتيتُه فقال لي: أتدري ما صنع هذا؟ إنه انطلق إلى العراق فأخبرهم أنه ابن أمير المؤمنين، فانتفقهم (سألهم النفقة)، فأعطوه آنية وفضة ومتاعاً وسيفاً محلّى، فقال عاصم: ما فعلتُ، إنما قدمتُ على أناس من قومي فأعطوني هذا! فقال عمر: خذها يا معيقيب فاجعلها في بيت المال.**

وجيء إليه بمال، فبلغ ذلك حفصة رضي الله عنها، فقالت: حق أقربائك من هذا المال. فقال: يا بنية، حق أقربائي في مالي، وأما هذا ففي سداد المسلمين، غششتِ أباك ونصحتِ أقربائك.. قومي.

وقسّم ذات مرة مروطاً على نساء المدينة، فبقي منها مرط جيد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين، أعطِ هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك - يريدون أم كلثوم بنت علي - فقال رضي الله تعالى عنه: أم سليط أحق به. وأم سليط من نساء الأنصار.

***

• **وهذه موازين العدل؛ إذا قامت في مساحة من الأرض زانت فيها الحياة! وقلَّ أن تجد راعياً لحقوق هذه الولايات، مُؤْثِراً فيها مصالحَ المسلمين على نفسه وأقاربه، إلَّا رأيته إلى خير.**

ما أحوجنا في مثل هذا الزمان إلى اصطفاف أقارب الإنسان وصحبه وزملائه في الحقوق العامة مع عامة الناس دون فرق. ولن تعود الأمة لسابق مجدها إلا من خلال هذه الصور التي كان يديرها عمر رضي الله تعالى عنه في زمان خلافته.

إن زماناً يُحابي في الحقوق العامة على الأحساب والأنساب والمعارف؛ لهو زمان شؤم! والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه الحول والطول، إنه على كل شيء قدير.

***





ورعه وخوفه

• وقف عليه أعرابيٌّ يسأل حاجته وحاجة بُنيَّاته، وذكّره بربِّه وسؤاله عن رعيته في ذلك اليوم، فبكى حتى اخضلَّتْ لحيته بالدموع، فلم يجد إلَّا قميصه الذي يلبسه، فأعطاه.

وعرض له أعرابي يسأله أن يذهب معه إلى من ظلمه وهو مشغول بمصالح المسلمين، فعلاه بالدرة فخفق رأسه، ولما ولَّى الأعرابي دعاه وسلَّمه الدرة، وسأله أن يخفقه بها كما صنع به، فرفض الأعرابيُّ وعاد إلى بيته وهو يجد مضَّها في قلبه، فصلى ركعتين، ثم جلس معاتباً لنفسه: يا بن الخطاب، كنتَ وضيعاً فرفعك الله، وضالّاً فهداك، وذليلاً فأعزك، ثم حملك على رقاب المسلمين، فجاء رجل يستعديك فضربته! ما تقول لربك غداً إذا لقيته؟!.

وكان يردد: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيؤوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وطلب ذات مـــرة بعيراً من إبل الصدقـــة نَدَّ، ولمَّا عوتب قال: لو أن عناقاً أخذت بشاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة.

وانتهى مرةً إلى رجال ونســـاء في الحرم على حوض يتوضؤون منه، فضربهم وفرَّقهم، ثم قال: يا فلان، ألم آمرك أن تتخذ حياضاً للرجال، وحياضاً للنساء؟ ثم لقي علي بن أبي طالب في الطريق، فقال له: أخاف أن أكون هلكتُ؛ ضربت رجالاً ونساءً في حرم الله تعالى.

***

• الشـــعور بالآخرين واحدةٌ من مشـــاهد الحياة في القلوب، وهي فرع عن كنوز التقوى التي أخذت مساحاتها في تلك النفوس، وأروتْ فيها مشاعر الخوف والذل!.

كم مرة وقف أمام بيوتنا أصحـــاب الحاجات، ولم يجدوا حتـــى كلمة طيبة تلثم فقرهم وحاجتهم، وتســـد تلك الجوعات!.



كم مرة قامت حاجة أرملة أو يتيم أو مسكين أو محتاج بإنســـان وقد منّ الله تعالى عليه بالمـــال، ولم يتمكّن من مشاركته أو حتى الشعور به!.

كم مرة أرادنـــا كثيرون لمجرد الســـماع لمشـــكلاتهم وظروفهم وحاجاتهم، والمشاركة في حلها، فاعتذرنا بظروفنا وأعمالنا، وتركناهم يجالدون مشكلاتهم في الظلام!.

وعمر رضي الله عنه خليفة المســـلمين فـــي زمانه تهـــزُّه حاجة الأعرابي، وتدفعه للبكاء، ويعود إلى قميصه الذي يلبســـه فيجود بـــه، ويـــدرأ عنه بهـــذا المشـــهد مواقف الســـؤال والحساب!.

- حاكم المسلمين وخليفتهم يعتذر لأعرابي، ويمدُّ إليه درته ويقول له: خذ حقك من خليفة المسلمين!.

يا لله، كم يصنع الوعي في حياة إنســـان من آثار! وكم يترك من معانٍ وأحداث! وكم من أناس امتطوا بهذه المسؤوليات على حقوق الضعفاء والمساكين، ودفعوا بهم إلى السجون، وأكلوا أموالهم، وضيعوا حقوقهم؛ لا لشيء وإنما لأنهم طرقـــوا أبوابهم وطلبـــوا حقوقهم، وذكروهم بالله تعالى!.



رأيتُ زوجاً يضــرب زوجه، ويخاصمهــا، وينازعها، ويأخذ حقوقها، ويظلمها، ويتكلم عليها، ويهجرها سنين طويلة؛ لأنهــا طالبت يومــاً بحقِّها؛ فلا هــو الذي رحم ضعفها وأحسن عشــرتها، ولا هو الذي ترك ظلمها ولم يكلِّفها فوق طاقتها.

ورأيت أباً يصنع ذلك مع ولده وبيته في نزاع، وثلة من أولاده مطرودون من البيت، وآخرون لا يسلم عليهم، وبعض منهم لم يجتمعوا من سنين تحت سقف واحد!.

وكم من معلم تطاول على طالبه ورصد له في طريقه، وتعمَّد إعاقته؛ لأنه أساء له يوماً من الأيام.

والخليفة عمر يرد الدرة على ذلك الإعرابي، ويطالبه بأخذ حقِّه في ساحات الدنيا.

- ويعي عمر رضــي الله تعالى عنه وأرضاه دوره في إصلاح المجتمع قائلاً: (يا فلان، ألــم آمرك أن تتخذ حياضــاً للـرجــال وحيــاضــاً للنســاء؟!).. **مِنْ أعظم مهمَّــات القــادة والكبــار والمصلحيــن وأصحاب المسؤوليات إصلاح دين الناس، وحمايته من الشهوات والأماني الفارغة.**

وكم من مسؤول وقف درعاً دون الفساد، وحمى للناس دينهم، وجنَّبهم ما ينقض عراه، حتـــى أوردهم بتوفيق اللّٰه تعالى إلى النجاة!.

وفي المقابل: كم من مسؤول تهاون في مسؤوليته حتى تسرب منها ومن خلالها الفساد والضياع! وكلٌّ سيلقى اللّٰه تعالى يوم القيامة، وسيجري حسابه على هذه التبعات.

وإذا كان التاريخ البشري يعرض موقف عمر بعد آلاف السـنين، فسـيعرض كتاب ربك حتـى النيـات الصالحة والفاسدة التي كانت مشاركة في تلك الأحداث.







حياته وأثره في المجتمع

كان عمـــر رضي الله تعالى عنه مثالاً مثيراً للإنتـــاج والنجاح، وقدوة كبيرة لكل من ولي شيئاً من أمور المسلمين، فكان واعياً بمجريات الواقع، مستشرفاً للمســـتقبل، راسماً لكل وقت ومرحلة وواقع ما يلائمه من الخبرات والتجارب والقرارات.

بدأ بالعقيدة تأصيلاً ورعاية بدءاً بنفســـه؛ قال حين قبَّل الحجر الأسود: والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبِّلك ما قبَّلتُك.

وأتى على وسائل الشـــرك وقطع أواصره، حين قطع شجرة الرضوان لمَّا بلغه أن قوماً يصلُّون عندها.

ولمـــا ظهر قبـــر دانيال بِتُسْـــتُر كتب إلـــى واليه أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : إذا كان بالنهار فاحفر ثلاثة عشـــر قبراً، ثم أدفنه بالليل في واحد منها، وعفّر قبره لئلا يفتتن به الناس.



ولمَّا رأى قوماً يترددون على مكان صلى فيه النبي ﷺ نَهَرَهم قائلاً: إنما أهلك من كان قبلكم بهذا؛ اتخذوا آثار أنبيائهم مساجد؛ من أدركتْه الصلاة فليصلِّ، وإلَّا فليمضِ.

وعزل خالد بن الوليد رضي الله عنه من قيادة جيش الشام للأمر ذاته؛ فقد خشي من تعلُّق الناس به، وأراد أن يعلِّمهم أن الله تعالى يدبِّر كل شيء، ويجري على أيدي عباده ما يشاء.

ثم قرر أمر الصلاة، وعُني بها، وشدَّد فيها، وكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة؛ فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لما سواها أضيع.

وهو أول من جمع الناس على صلاة التراويح وقد كانوا يصلون أوزاعاً قبل ذلك.

وخطب المسلمين ذات مرة، فدخل رجل المسجد زمن خطبته، فناداه وهو على المنبر: أية ساعة هذه؟!..

❁ ❁ ❁

- **إدارة الأولويات من أعظم شؤون الكبار، يُدركون أهميتها، ويعظِّمون شأنها، ويقومون بها، ويجهدون في بنائها في أوساطهم وولاياتهم،** وقلَّ أن ترى مصلحاً إلا وله شأن مع القضايا الكبرى والأولويات العظام في حياته.



جزء كبير من مشــكلاتنا أننا لا نعرف الأولويات في حياتنا، فضلاً أن نعرف أهم هذه الأولويات، وإذا عرفناها لا تأخذ حقَّها الكافي من الوقت.

والفــاروق رضي اللّٰه تعالــى عنه وأرضــاه يتولى أمور المسلمين، ويبدأ رحلته معهم بإدارة شأن الأولويات، فيحفظ لهم دينهم من الشتات، ويبدأ فيه بأمر العقيدة، ويهدم كلَّ وسيلة تؤدي لانحراف هذه العقيدة في واقعهم يوماً ما، ثم يعود فيؤكّد على الصــلاة الركن الأهم بعد التوحيد؛ فماذا بقي من شأن المسلمين في أعظم أولوياتهم؟!.

- **كم مرة انشغل المســؤول بورقة الدوام، والتوقيع المبكِّر، على حســاب قيم العمل وفاعليته!** كم مرة حذَّر مدير المدرســة أو رئيس الدائرة مــن التخلُّف عن الدوام الصباحي، وفاته أن هذه وسيلة، والعناية بفاعلية المعلم في حصته وتفاعله مع طلابه من أعظم ما ينبغي أن تُصرف له الجهود، وتتوجَّه إليه الهمم، وقُلْ هذا في شــأن الوالد في بيته، والمربي في حلقته، ومن يدير شأناً من شؤون مجتمعه ووطنه وأمته.

- **إدارة الأولويات فن، ولكنها تحتاج أولاً إلى قدرة على معرفتها من غيرها من الهوامش،** ومن ثَمَّ إبرازها



وإظهارها والحديث عنها حتى تصبح من المعلوم في واقع كلِّ إنسان بالضرورة، ومن ثَمَّ توجيه الأوقات والجهود والأموال في سبيلها حتى نأتي منها على ما نريد. وشأنها يبدأ من الفرد، ثم الأسرة؛ حتى تكون ثقافة لدى كل إنسان.

- **ما قتلَ الأمةَ ما قتلَها هذا الشتات والضياع لأولوياتها، والانشغال بالهوامش**؛ على حساب قضايا كبرى لو أعطيت حقها من الجهود لكوّنت حياةً تصلح أن تكون ذات شأنٍ مقارنةً بغيرها من الأمم.

إنك حين تتأمل أسبوع إنسان وكيف قضاه؟ وما الأولويات التي ركز عليها؟ وماذا حقق منها؟ ستصاب بالدهشة! أنه لا يعرف أولوياته فضلاً أن يعرف كيف يُديرها ويبلغ منها أمانيه. والله المستعان!.

❁ ❁ ❁





همومه ومفاهيمه

١ - كان يتوق للمجد، ويتشوَّف للرجال.

قال ذات مرة لأصحابه: تمنوا. فكلٌّ أدلى بأمنيته.. فقال: أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءة رجالاً كأبي عبيدة، ومعاذ، وسالم مولى أبي حذيفة، وحذيفة بن اليمان؛ فأستعملهم في طاعة الله تعالى.

وكان يرشد إلى صُحبة الصَّالحين، قال: عليك بإخوان الصدق تعشْ في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء.

وأوصى بأن تضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقليك منه، ولا تصحب الفاجر فتتعلّم من فجوره، ولا تُطْلعه على سرك، واستشرْ في أمرك من يخشى الله تعالى.

وكان يعلِّم الإخاء في صورة قلَّ أن تتكرر في مثل زماننا، كان يذكر أخاه في اللّيل ويقول: يا طولها من ليلة! فإذا صلّى الغداة غدا إليه، فإذا لقيه التزمه أو اعتنقه.



وكان يردد: لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جنبي في التراب لله تعالى، أو أجالس قوماً يلتقطون طيّب القول كما تلتقط الثمرة؛ لأحببتُ أن أكون قد لحقتُ بالله تعالى.

***

• **الكبارُ يتمنون الكبارَ، ويهفون إليهم، ويتوقون إلى صُحبتهم، ويشتاقون إلى همومهم في كل حين.**

ذهبت أماني القوم في زواج وإمارة ومال، وذهب عمر رضي الله تعالى عنه يتوق لرؤية الرجال والشوق إليهم وهتاف ذكرياتهم والعيش في همومهم.. وما تصنع بواقع لا رجال فيه؟!..

وإذا تأملتَ هموم هذا الكبير أدركتَ كم هي المساحات التي تضيق بأعداد كبيرة جدّاً. ولكنهم لا يُغْنون في شربة ماء، ولا ينفعون في ضائقة، ولا يهيضون عليك مواقف فرح في أشد أزماتك وظروفك وأحداث واقعك. فإلى الله المشتكى ومنه الحول والطول وهو على كل شيء قدير.

وقد قلتُ لك وما زلت أردِّد: إذا رأيتَ مجتمعاً متكاتفاً مؤتلفاً تتداح فيه مشاريع العمل والبناء؛ فاعلم أن الله تعالى رزقه صاحب راية! وإذا رأيتَ مجتمعاً متخلِّفاً متنازعاً



ليس فيه شـــيء من مباهج العلم والاجتماع، فاعلم أن اللّٰه تعالى لم يرزقه صاحب راية حتى الآن.

وقد قال مالك بن نبي: **المجتمعات الناهضة لا تُحسب بكثرة أفرادها، وإنما تُحسب بفاعلية أولئك الأفراد.**

• وما هذا الشوق للإخوان والصحب ورفقاء الطريق؟! ما هذه المشـــاعر المتدفقة لأعوان الحياة؟! هل هذا عمر الذي يهاب الناس طلَّته في كل مجلس؟! هل هذا عمر الذي يعلو بدرَّته كلَّ مخطئ؟! نعم هو ذاته الذي يقيم برهان اللّٰه تعالى في مساحته، ويُجري الحقَّ على ظهور الرجال؛ يقوم بشأن إخوانه، ويشتاق إليهم، وينتظر ساعات الليل من أجل لقائهم، والحديث إليهم، وســماع شــجونهم، فرحمك اللّٰه تعالى يا عمر!.

***

٢ ـ ولمَّا وقف عبد اللّٰه بن حذافة الســـهمي موقفه الشجاع مع الروم حين قال له الملك: تنصّر وأشركك في ملكي وأزوِّجك ابنتي. قال: لـــو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكـــه العرب على أن أرجـــع عن دين محمد طرفة عين ما فعلتُ. ورضي الملك فـــي النهاية بتقبيل



رأسه مقابل إطلاق جميع أسرى المسلمين. قال عمر: حق على كل مسلم أن يقبِّل رأسَ عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقبّل رضي الله تعالى عنه رأسه .

❁❁❁

• **والشـــجعان تزفهم مواقف الشـــجاعة إلى البهجة والفرح، ويحتفون بهذه المواقف، ويصنعون لها مواقف عزٍّ وجاه، حتى كأنهم أصحاب تلك المواقف لا فرق.**

كم مرة صنع بطلٌ موقفاً شـــجاعاً، واشـــتهى أن يدعمه الآخرون ولو برسالة شكر! كم هي مواقفنا في دعم مشاهد الفضيلة، ومواقف الرجال، ودفع القيم حتى تأخذ حظَّها من واقع الحياة! ما أحوجنا إلى مشهد عمر ليس مع عدو وفي ســاحات جهاد المعارك فحسب! وإنما في ســاحات العمل والتضحية والبناء من واقعها الذي تعيش فيه.

كم مرة قلتَ لولدك في بيتك: جزاك الله تعالى خيراً على موقفك الشجاع، وقيمك الكبرى، وواقعك الذي صنعته بالأمس في ساحة مدرسة، أو مشـــهد تضحية وبناء!.. كم مرة باركتَ لزوجك خروجها من مســـاحة منكر!.. كم مـــرة وقفتَ بجانب صاحب كلمة حق ودعمتَه وأشَدْتَ به، وجعلته كبيراً بمؤازرتك!..

أشـيعوا يا قوم هذه الفضائـل، واكتبوا لهـا حظّاً من التاريخ، وقوموا نصراءَ للفضيلة وروّاداً للنهضة ومادين في مساحات الربيع!..

إياكم والتخاذل في مثل هذه المواطن؛ فإنه مُورِدٌ الأمةَ كلها إلى الخذلان.. اصنعوا من موقف هذا الخليفة مواقف مجد وتأريخ وفأل.

***

٣ - وكان مُهاباً يجـري رأيه على كبـار القوم قبل صغارهم، وتعلو درته ظهورهم قبل ظهور غيرهم.

شكى إليه أهل مكة أن أبا سـفيان ابتنى داراً فحبس عنا مسيل الماء ليهدم منازلنا، فأقبل ومعه الدرة، فإذا أبو سفيان قد نصب أحجاراً، فقال: ارفع هذه. فرفعها، ثم قال: وهذا، وهذا.. حتى رفع أحجاراً كثيرة.

ولمَّا أقبل الجارود على عمر فقال رجل: هذا سيّد ربيعة. فاعتلاه بالدرة وقال له: خشيت أن يخالط قلبك منها شيء.

ولما رأى النـاسَ مجتمعةً علـى أبيّ بن كعب بعد خروجه من المسـجد؛ قال له: هذا الذي تصنعه فتنةٌ للمتبوع، ومذلَّةٌ للتابع.



ورأى ذات مرة رجلاً يمشي مرخياً يديه، طارحاً رجليه، يتبختر، فقال له: دع هذه المشية. قال: ما أطيق. فجلده، ثم تبختر، ثم جلده، فترك. فقال: إذا لم أجلد مثل هذا ففيمَ أجلد؟!.. فجاءه الرجل بعد ذلك قائلاً: جزاك الله خيراً؛ إنْ كان إلَّا شيطاناً أذهبه الله تعالى بك.

ورأى رجلاً مظهراً للنسك متماوتاً، فخفقه بالدرة قائلاً له: لا تُمِتْ علينا دينَنا أماتك الله!.

وكان يهتم بالصحة ويؤكِّد عليها، ويحذِّر من مغبة السمنة ومخاطرها؛ قائلاً: أيها الناس، إياكم والبطنة؛ فإنها مكسلة عن الصلاة، مفسدة للجسم، مورثة للسقم.

ورأى رجلاً عظيم البطن، فقال: ما هذه؟ قال: بركة من الله. فقال: بعضها عذاب من الله.

ودخل السوق ذات مرة، فلم يرَ فيه إلَّا النبط، فاغتمَّ لذلك، وجمع الناس وأخبرهم بما رأى، وعذلهم في ترك السوق، فقالوا: لقد أغنانا الله عن السوق. فقال: والله لئن فعلتم ليحتاج رجالكم إلى رجالهم، ونساؤكم إلى نسائهم.

***

• وإذا لم تكن هذه مشاهد الحاكم والمسؤول وصاحب السلطة في مساحته؛ فلا مفروح بشيء بعد ذلك من سيرته.

المسؤوليات لها تبعات وأثقال وأحمال تنوء بها عواتق الرجال إلَّا على من فقه دورها وقام بحقِّها.

وكل هذه الأحداث التي صنعها عمر في واقعه كانت فيها راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، باسطةً واقعها في أيام خلافته؛ لم يتخلَّف منها شيء.

ونحن في زمان ننتظر من الهيئة ورجال الحسبة من يقوم بدور المسؤوليات، ويحتسبون في مرات كثيرة عن المسؤولين الذين كان يُنتظر منهم دور الإصلاح.

• إن هذه المشاهد تؤكِّد أن القائد والمسؤول ورئيس الدائرة والحاكم في أي بلد أو مساحة من الأرض هو المسؤول الأول عن تأصيل قضايا المنهج وتوسيع دوائرها.. وما تصنع بمسؤول لا يخلق في واقعه شيئاً، ولا يجلب له نفعاً، ولا يحاصر فيه فوضى.

صُنّاع الحياة إذا وُجدوا في مساحة أحالوها ربيعاً، وإذا تولوا مسؤولية كتبوا فيها أشواق العمل والبناء.



- **الاستسلام والتذرُّع بالعقبات وضيق مساحة الصلاحيات فن يحسنه القاعدون بامتياز..** ومن السهولة بمكان أن يقول لك: تغيّر الواقع، ومضى عهدك الذي تذكره، وفات زمان الطفرة التي كان يعيشها الواقع.. **ومكمن الحياة في ناهض جاء في واقع لا أثر فيه، ثم أحاله مع الأيام إلى فجر.**

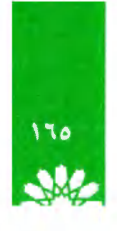
- **أحوج ما نحتاج في عالم اليوم إلى الحركة في المساحة الممكنة، وهي كافية عن كثير من الأماني.**

لو تحرَّك كل إنسان في مساحته فضلاً عن المسؤول؛ لتغيَّر كل شيء.

مشكلتنا أن كل واحد منا ينظر للآخر ويعاتبه على مساحته التي تخلّف فيها، ونقف في النهاية مصطفين عقبات في الطريق، مانعين من تحقيق تلك الآمال التي يرقبها الواقع ويعيش آلامها المنتظرون!.. ولعل هذه السيرة المباركة تحيي فينا هذا الجانب، وتحرِّك واقعنا إلى مساحته الممكنة، وتجعل كل واحد يمسك بما يستطيع ويبدأ رحلة التغيير في واقعه، ويأتي يوم الفرح ونبلغ نهاية الطريق بإذن الله تعالى.

• على كل مسؤول أن يفقه أن مسؤوليته ليست في إدارة نظام الموظفين وانتظامهم في باكر كل يوم، ولا في القيام بصور العمل، **دور النهضة في واقعه أن تكون الوظيفة وسيلةً لدين الله تعالى**، ومساحةً تجد فيها الشريعة حريتها، ومكاناً ينبض بالحياة من خلال مشاهد العمل والإبداع والتضحيات، وما عدا ذلك فهوامش لا قيمة لها في واقع الكبار.

❁ ❁ ❁





قصة الخلافة

١ ـ تولى عمر بن الخطاب مقاليد الحكم بعد وفاة أبي بكر رضي الله تعالى عنهما بعد أن شاور أبو بكر في توليته كبار الصحابة، وأشاروا به رضي الله تعالى عنه وأرضاه. بدأت رحلة الحكم بخطبة أبان رضي الله تعالى عنه فيها مبادئ حكمه، فاعتمد الشورى المنهج الذي قرره الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والصفة التي أثنى الله تعالى بها على عباده: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

وكان رضي الله تعالى عنه يقول: لا خير في أمر أُبرم من غير شورى.

وقال: الرأي الفرد كالخيط السحيل، والرأيان كالخيطين المبرمين، والثلاثة مرار لا يكاد ينتقض.



وحدد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مع من تكون المشـــورة فقال: شـــاور في أمرك من يخاف الله تعالى.

***

- **وقد جرت سُنة الله تعالى التي لا تتغيّر أن لكل زمان ومكان رجالاً، وصاحب الراية ترمقه العيون في كل مرة، وتزدان به الحياة**، وما من صاحب راية إلا ورأيتَ مَنْ حوله يتهافتون عليه، ويرجون قُربه، ويجتمعون حوله، ويرون فيه كلَّ شيء.

ولم يحدث يوماً في التاريخ أن اشرأبَّتْ أعناق الرجال لخامل أو دنيء همة، وإذا رأيتَ من ذلك شيئاً فذلك زمان سوء؛ عافانا الله تعالى وإياك من مشاهده.

وما كان لغير عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يكون في مقامه، وهو ثالث الركب، وصاحب الراية، وما من موطن شهده النبي ﷺ إلا وهو يقول: «**أنا وأبو بكر وعمر**».

وقـد رأينـا هـذه السُّـنة تجـري حتـى فـي البيوت والمجتمعات وواقع المسؤوليات؛ كلٌّ بحسبه، وما يقام لأحد من الخلق إلَّا على شـيء من أحداثه وتراثه وتحدياته في ذلك الواقع الذي يعيش فيه، وهو المستعان وعليه التكلان،



ومنه الحـول والطول: أن يحيي أرواحنا، ويدفع بنفوسـنا، وُيعيننا على بلوغ أمانينا إلى ما ننتظر من آمال.

• **اعتمد** رضي الله تعالى عنه **منهج (الشورى)** مؤمناً به، مدركاً لآثاره، وعُني بالنخبة التي تستشـار في أمور المسـلمين! **وغالباً ما يأتي الخلل في الاسـتبداد بالرأي، أو وجود شـورى شكلية**، أو إيمان بالشورى وعمل بها لكن الخطأ فيمن وُضِع للشورى واختِير أميناً في مثل هذه المسؤوليات.

الشـورى تبدأ من إيمان الفرد بها، وآثارها عليه، وكم من إنسان يسير في فلكها نال من الخيرات ما نال! وكم من مفرّط تخلّف عن مـوارد التوفيق بتركهـا! ويجب أن تأخذ حقها في كل مكان، بدءاً من قرارات الإنسـان الشخصية، ومروراً ببناء الأسـرة، والمجتمع، ودائـرة العمل، وانتهاء بالحكم العام على مسـتوى دولة أو أمة! وأي خلل في هذه القضية هو في النهاية خلل فـي المنهج الذي ارتضاه الله تعالـى لصلاح ذلـك الواقع الـذي نعيش فيـه، وخلل في النتائج المترتبة على ذلك.

• **بدأ** رضي الله تعالى عنه **بالشـورى مع نفسـه**، **واختار الصلحاء وطلاب العلـم وأصحاب الـرأي**؛ فـكان مـن هؤلاء: العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله، وكان لا يفارقه

في حضر ولا سفر، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت. **وإذا عرف المسؤول القوي الأمين أتى على أمانيه كما يريد.**

وما أكثر من يشرّع للأمة، ويؤسِّس نظاماً، ويجري اتفاقات وهو بمنأى عنها لا صلة بينه وبينها، ولا يعدو عن منهج المستبدين: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

- **وكان رضي الله عنه يأمر قادة الحرب بتبنّي الشورى**؛ فقد بعث أبا عبيد الثقفي لمحاربة الفرس بالعراق، قال له: اسمع من أصحاب النبي ﷺ، وأشركهم في الأمر؛ خاصة من كان منهم من أهل بدر.

وكان يكتب إلى قادته بالعراق يأمرهم أن يشاوروا في أمورهم، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: «وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه؛ فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاشّ عين عليك وليس عيناً لك».

وقال لعتبة بن غزوان حين وجهه إلى البصرة: «قد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدَّك بعرفجة بن



هرثمة، وهو ذو مجاهدة للعـــدو ومكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه».

فتأمل هــذا المنهــج، وانظر كيــف كان عمــر يعتني بالبطانة الصالحة ليس لذاته فحسب، وإنما حتى مع ولاته في كل مكان، **وكم من بطانـــة جلبت الخيرات لصاحبها! وكم من بطانة جلبت الخيبات والحرمان!.**

وفي منهج الله تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وما نراه اليوم من فســـاد عريض في الأنظمة والأموال والمشاريع ما هو إلَّا جزء من التفريط في مثل هذا المنهج الذي كان يقرره عمر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ في زمنه، ويرعى شـــأنه ويوصي به، حتى بلغ به بعد عون الله تعالى إلى كل ما يريد.

❁ ❁ ❁

٢ ـ **وأرسى قواعد العدل؛ اختصم إليه ذات مرة مسلم ويهودي، فقضى أن الحقَّ لليهودي، وكان يقول للناس: إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشـــاركم، ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقســـموا فيئكم بينكم.**

وشــكى إليه ذات مرة أحد الناس ظلــم واليه، فأمر بالقصاص منه أو نفي دعــواه.. والأحداث في هذا الباب كثيرة لا يستوعبها مثل هذا الكتاب.

***

- **العدل هو الخيــط الناظم لبقاء الــدول والأمم والأفراد، وما قام في مجتمع أو أمة أو مؤسسة أو دولة إلا كان ســياجاً لها من الضياع، وما انتقض إلا كان مُؤْذِناً بالهلاك،** وهذه سُنة اللّه تعالى في الأولين والآخرين!.

ولا يقابله إلا الظلم الذي حَرّمه اللّه تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً، وكم من دعوة مظلوم ســرت في ساعة إجابة فنزلت بشرر النار والخلاف والفساد في تلك المنظومة لو كانوا يفقهون! وإن لم يســتوفِ المظلومُ حقَّه فــي الدنيا أخــذه كاملاً موفــوراً من صاحبه في ســاحات القصاص، وقد قال اللّه تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

- **متى كان النــاسُ أوزاعاً على المكانــة والوظيفة والإمارة إلا في زمــان الظلم ووأد الحريــات! متى كان**



الإنسان مُكرّماً معظّماً مشاداً به مصوناً عرضه لأنه ابن فلان! والآخر لا قيمة له! هذه قيم الجاهلية التي كنس بها الخليفة الراشد مواطئ أقدام العالمين.

كم من إنسان ظلم زوجه وهي مسؤوليته الوحيدة، وكتب عليها الخذلان، وأجرى عليها الظلم، وجعلها تعيش نكد الحياة!.. وكم من رئيس دائرة عبث بالأنظمة وجعلها طريقاً لظلمه وبطشه وكيده!.. وكم من أبٍ خلق النزاع بين أبنائه، وأورث فيهم وبينهم الحسد، وأجرى عليهم الظلم حتى باتوا أعداءً أو شبه أعداء!.. وكم.. وكم!.. ومن قرأ مشاهد العدل في سيرة عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه لقي الله تعالى على خير وبر.

❁ ❁ ❁

٣ ـ أصاب الناسَ بالمدينة سنةُ جَدْبٍ، وسُمِّي ذلك العام عام الرمادة، فحلف الوالي والأمير والخليفة والوزير عمر رضي الله تعالى عنه ألّا يذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى تعود الحياة من جديد، فلما تغيَّر الحال قدم السوق عكة من سمن ولبن، فاشتراها غلام لعمر بأربعين، ثم قدم بها عليه وقال: يا أمير المؤمنين، قد أبر الله يمينك، وعظم أجرك، قَدِمَ رجلٌ بهذا فاشتريته لك بأربعين. فقال له

عمر: أغليت بها، فتصدّق بها؛ فإني أكره أن آكل إسرافاً، كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يمسني ما مسَّهم؟!..

وقدّم له صفوان بن أمية طعاماً يكرمه به أثناء مقدمه من الحج ،وقام الخدام، فأمر بهم فرجعوا ليأكلوا معه على ذات السفرة، وقال: ما لقوم يستأثرون على خدامهم؛ فعل الله بهم وفعل.

وكان لا يأكل طعاماً إلّا إذا كان في متناول المسلمين جميعاً، أما أن يخصَّ بشيء دونهم فيرفض رضي الله تعالى عنه ويردد: بئس الوالي أنا أن آكل طيبها وأطعم الناس كراديسها.

ولما بعث إليه أحدُ ولاته بخبيصٍ فذاقه فإذا هو شيء حلو، فقال: أكل المسلمين يشبع من هذا في رحله؟ فقال: لا. فردَّها إليه ثم كتب إليه: أما بعد؛ فإنه ليس من كد أبيك ولا من كد أمك؛ أشبع المسلمين مما تشبع منه في رحلك.

ولما قدم مال جعل يوزعه بين المسلمين، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناس حتى خلص إليه، فعلاه بالدرة وقال: إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض، فأحببتُ أن أعلمك أن سلطان الله لن يهابك.. فمن هو سعد حتى نعرف عدل عمر!..

***



- **يقرر هذا الكبير أنه لا فرق بين الحاكم والمحكوم فيما يصيب الناس من آثار وأحداث، وأنهم سواسية أمام قوانين العدالة.**

متى كانت الشريعة تبيح للولاةِ أن يأكلوا في زمن الجوع حتى يشبعوا على حساب الأمة التي تكاد تموت جوعاً في عرض الطريق؟!.. متى كان من حق المسؤولين أن يسنُّوا أنظمةً يتمتعون فيها بالراحة والاستقرار على حساب الضعفاء والمساكين وذوي الحاجات؟!.. من لم يقم بحق هذه المسؤوليات كانت حسرة وندامة على أصحابها في أيام الحاجات، وكم من مظلوم في ساحات تلك الولايات يأتي يوم القيامة للقصاص من هؤلاء المسؤولين!..

- **الدولة والمجتمع والأسرة؛ كل دائرة مسؤولية تحتاج إلى من يقيم شأنها على موازين العدل، ويُثري ساحاتها بالقدوة العملية**، وإلا تخرَّقت مع الزمن، وصارت في النهاية إلى فوضى!.

وكل من ولاه اللّٰه تعالى مسؤولية؛ فعليه أن يقوم بدورها ويكتب حظَّ الإصلاح فيها، ويتقي اللّٰه وُسْعَه، وألَّا يكون بابَ شر أو مساحة فوضى أو مواطنَ خذلان على أمته يوماً من الأيام.

* * *



الحريات

وكفل رضي الله تعالى عنه للناس حرياتهم العامة والخاصة.

وأول مظاهر هذه الحريات التي قررها أمير المؤمنين عمر رضي الله تعالى عنه: حرية الدين، فلم يكره أحداً من الخلق على اعتناق الإسلام، أخذاً بقول الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظًاۖ إِنۡ عَلَيۡكَ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

فأقرَّ أهل الكتاب على دينهم، وأخذ منهم الجزية، وعقد معهم المعاهدات، وإذا حصل منهم خلاف ذلك أقام عليهم لواء الجهاد، وكتب عليهم الجلاء.

وترك الحرية للصحابة رضوان الله تعالى عليهم في المسائل الاجتهادية، ولم يحجّر على أحد منهم في رأي، وسألهم النصح وتقويم اعوجاجه إن رأوا منه شيئاً خلاف الحق، وكان يقول: رحم الله من أهدى إليّ عيوبي.

وفي المقابل حارب كلَّ فكر ودعوة جعلت من الحرية فجاجاً صالحاً للخطأ والفوضى، فواجه النبطي الذي أنكر القَدَر وهدده بالقتل إن أظهـــر مقولته، وجلد بدرّته من حرّف في كتاب الله تعالى، وحبس من اعتدى على أعراض الناس وأدّبه.

فكان رحمه الله تعالى ورضي عنه وســـطاً في هذا الشأن؛ ملّك كل إنســـان حريته التي منحه الله تعالى إياها، وسد منافذ كل فوضى يمكن أن تنتج من خلال ذلك الباب.

***

- خلق الله تعالى الناس أحراراً مــن كلِّ قيد، وجعلهم مسؤولين عن ذواتهم، وأخبر أنهم يأتون يوم القيامة أفراداً للجزاء والحســاب، وليســت الحرية هذه التــي ينعق بها أدعياء الديمقراطية التي يتخلّص فيها الإنســان من حدود شريعة الله تعالى، والتي تســفُّ مظاهرها من الحضيض! **ولم يقم نظامٌ في الأرض منذ أشرقت بالدِّين إلى يومنا هذا يؤسس مفاهيم الحريات كما أسسها هذا الدِّين**، وما عدا ذلك من الأنظمة شَــرعت حرية لتطمــس في المقابل حريات! وهكذا يجب أن يكون الولاة في كل مساحة!.



ماذا لـو أن الآباء صنعـوا لهذا المنهج مسـاحات في بيوتهم! وجعله مديرُ المدرسة ورئيسُ الدائرة وكلُّ مسؤول أصلاً في حياته، وجزءاً من منهج التعامل مع كل من يدير شأنهم ويقوم على قيادتهم، ومَنْ حولنا لا يؤمنون بأفكارنا إلا على هذه المعاني التي تُدار معهم.

وأسـوأ واقع في الحياة ذلك الذي يقـوم على وأد الحريات، ويجري شؤون واقعه على مبدأ ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

• كثير من مشـكلاتنا أننا لا نشـارك الناسَ همومَهم وظروفَهم، ولا نتيح لهم المشاركةَ في جزء من القرار الذي سيعيشون عليه مسـتقبلاً وزمناً في حياتهم، ونجعلهم فقط يمضون كما نريد نحن لا كما يريدون هم.

كل شـيء قابل للتعويض إلا الحريـات التي يئدها الظلمة، وتقف في وجهها القـرارات الجائرة، وتحرمها السلطات من العيش بجلاء.

• لقد لفت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النظر إلـى أن الأصل أن يأخذ كلُّ إنسان حريته، فإذا ما جاوز بهذه الحرية حدَّها وتعدَّى بها قدرها؛ جلـده بالدرة وأعاده لمسـاحتها من جديد..



وهذا واللّٰه هو الفقه! ولا سبيل إلى إجهاض حريات الناس في العموم.

وكم من قرار وقف عقبةً في حريات أناس في الظاهر وجرى في الباطن كما يشاؤون!.. وهذه الأنظمة الروتينية التي نراها تقف عقبات في طريق حريات كثيرين تخلق معها ألف طريق لمساحات من الحريات تأخذ واقعها في الظلام.

وإذا فتشت في مخالفات الناس ورصدتها بدقة؛ أدركت أن النظام الذي أراد أن يكفل لهم النجاح هو ذاته الذي علمهم كيف يخلقون طرقاً في الظلام، ويعبثون بمقدرات الناس، ويُخِلّون بذلك النظام الذي تعامل بالظاهر ففتح ثقوباً كبيرة وكثيرة في سفينة النجاة في النهاية.





التاريخ الهجري

أسس رضي الله تعالى عنه للتأريخ بهجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وإن كانت الهجرة تمَّت في ربيع الأول، فأخّر إلى المحرم لأنه مبتدأ العزم على الهجرة.

***

- وصار هـذا تاريخ الإسـلام، وعزه وفخـره، ومبتدأ النقلة من ضيق الأرض إلى سعة الحياة، وما لم تشعر الأمة حين تدوينها لهذا التاريخ بهـذا المعنى فقد لا تقوى على مزاحمة الأوهام.

فرق بين مـن يكتب تاريخاً كتبتـه العادة، وآخـر يكتب تاريخ عزه ونصـره وتحديات أمتـه في فجـر تـاريخها البهيج.

الهجرة يا قـوم هي التاريخ الذي تنفّس فيه الإسـلام واقعه، والخطوات الأولى لرحلته، والفجاج الواسـع الذي



لقي فيها صداه، فإما أن تكتب وأنت تستروح هذه المعاني، وإلَّا ما ينفعك في شيء.

حين تكتب هــذا التاريــخ تنفّسْ هوى هذا الإســلام، واســتروح معانيه، وارحلْ بقلبك ومشاعرك إلى أيام شروق شمس الرسالة، وبداية الربيع في مساحات أرضها.. ودعك من تاريخ مزيّف لا حقيقة له أوجب له زمان الماديات واقعاً وهو منه براء! والله المستعان.







جهاده وفتوحاته

بدأ جهاده في سنة ثلاث عشرة بعد وفاة الصِّدِّيق مباشرة؛ حيث جهّز جيشاً لحرب أهل العراق، وجرت هناك غزوات ولقاءات وأحداث من أهمها: معركة الجسر سنة (١٣هـ)، ثم القادسية عام (١٥هـ)؛ وهي المعركة التي كانت فاصلة في التاريخ، انفتح منها العراق على مصراعيه وما وراء العراق فارس كلها، وانكسرت شوكة المجوس من خلالها، ثم فتح تُسْتُر، ومعركة نهاوند، ثم تبعها بعد ذلك فتوحات الشام: دمشق وحمص، وفتح القدس، ثم فتوحات مصر وليبيا، وتكوّن للأمة هذا التوسّع البهيج في الأرض، وامتد الإسلام، واتسعت رقعته، ولقي الناس آثاره كما يشاؤون.

***

• ولا حظَّ للأمة في التاريخ إلا بهذه الراية! وإذا أخذت مساحتها في واقعٍ كتب الله تعالى لأهلها العزة، ولتاريخها



النصر، وما تخلفت عن واقع إلا واستعمره العدو وجعله مطية لأهدافه وهمومه.

وبات الجهاد اليوم مغمزاً لفكر مستلب وراية عدوان، واجتالت هذا الشعارَ جملةٌ من الأوهام حتى تقلصت مساحته في هموم الأمة أو تكاد، ونحن في زمن إذا قرأت آية عن الجهاد أو حديثاً في فضله رمقتك الأعين، وتوجهت إليك الأبصار، ونالتك الشكوك، وأصبحت الأمة ضحية لفكر عدوِّها وآراء المتسلطين عليها. والله المستعان!.

ومن تأمل شرعية الجهاد، وعرف مقاصده، وقرأ سيرة النبيِّ ﷺ في الجهاد بالذات، أدرك أنه رحمة بالأمة، وطريق إلى عزها.. وما يدار في واقع اليوم إن سَلِم من أنه شيء رتَّبه العدو باسم الإسلام ليشوهوا صورة الجهاد الحقيقية، وإلَّا فهو من سفهاء أحلام لا يمكن أن يكوّنوا هم الصورة الحقيقية لهذه الشريعة التي أراد الله تعالى بها عزة الأمة واكتمال سلطانها به في مساحة الأرض يوماً ما، وفي الحديث: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلّط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

❁ ❁ ❁



وفاته

تقدم رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ إماماً لصلاة الفجر، فما هو إلا أن كبَّر وتقدَّم إليه ذلك العلج المجوسي وهو يحمل سكيناً ذات طرفين، حتى طعنه، فإذا به يقول: قتلني أو أكلني الكلب.

ثم عاد العلج هارباً يضرب بسكينه يميناً وشمالاً حتى طعن ثلاثة عشر؛ قتل منهم سبعة، فأدركه رجل من المصلين فألقى عليه ثوباً، فلما ظنَّ أنه مأخوذ نحر نفسه.

فتناول عمر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يد عبد الرحمن بن عوف فقدّمه للصلاة بالناس، فصلَّى بهم صلاة خفيفة، فلمَّا انصرفوا قال عمر: يا بن عباس انظر من قتلني!.

فجال ساعة فقال: غلام المغيرة. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفاً، الحمد الله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل يَدَّعي الإسلام.



فحُمل إلى بيته، فأتي بنبيذ (تمر نُبذ في ماء) فشربه، فخرج من جرحه، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فقال: يا عبد الله بن عمر، انظر ما عليّ من الدين؟ فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفاً، فقال: إن وفّى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل في قريش ولا تعدُهم إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال، وانطلق إلى عائشة فقل لها: يقرأ عليك عمر السلام ويقول لك: يستأذن أن يبقى مع صاحبيه.

فسلَّم عليها ابن عمر، وقال لها، فقالت: كنت أريده لنفسي، ولأوثرنَّه به اليوم على نفسي.

ولم يرحل رضي الله تعالى عنه حتى حدد مجلساً للشورى لاختيار الخليفة القادم (علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله)، وأمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضرهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي.

وأمر المقداد بن الأســود وأبا طلحة أن يرقبا سير الانتخابات. وحــدَّد لهم ثلاثة أيام، وقــال لهم: لا يأتِ عليكم اليوم الرابع إلا وعليكم أمير. ثم أوصى وصية عامة لمن سيكون خليفة.

ثم رحل في يوم الأربعاء لأربــع أو ثلاث بقين من ذي الحجة ســنة ثلاث وعشــرين من الهجرة؛ وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت خلافته عشر سنين ونصفاً وأياماً، وصلى عليه صهيب بن سنان الذي كلَّفه بالصلاة أيام الشورى.

❁ ❁ ❁

• وهذه هي اللحظة التي تنتظر كلَّ حي، وسيأتي يوم العزاء لكلِّ إنســان! **مهما بلغ عمرك وطال، وعشت في ســاحات هذه الدنيا، فســتأتي لحظة انتقالك، ويوم فراقك، ومجلس عزائك**، ولن يبقى لــك في النهاية إلا عملك وتاريخك، وأيام الوفاء في حياتك، وفي الحديث: قال جبريل للنبي ﷺ: «**عش ما شئت فإنك ميت**».

وعلى كل عاقل أن يُدرك هذه اللحظة، وأن يعمل لها، وأن يستقبل أيامها بالعمل، وألا يترك شــيئاً من الجهاد يمكن أن يملأ به ســاحاتها في الحيــاة. ما أصدق هذه الحقيقة! وما أقل الفقه بها في واقع الناس!..



• رحل عمر رضي الله تعالى عنه وأرضاه وهو يصلي بالمسلمين صلاة الفجر، وسيلقى الله تعالى على تلك الخاتمة، فما الخواتيم التي نعدها لمثل هذه المواقف! **ومن حيي على شيء مات عليه!** ومن عرف بشيء خُتم له به، هذا في الأعم الأغلب، فانظر ما أنت صانع في حياتك، وترقَّبْ رحيلك على مشاهده في يوم من الأيام.

• **رحل عمر رضي الله عنه وهو يؤدي دوراً حيوياً في أمته، رحل وهو يصلي بهم إماماً**، وهذه مسؤولية من المسؤوليات التي باتت يأكلها القعود، ولم تعد يشرف بها الصالحون، وكان من دعوات الصالحين: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وتحوَّلت من أمنية في مثل زماننا، إلى هموم وأثقال لا تتواءم مع ظروف حياتنا، ورضينا أن نعيش في أعقاب الجماعات والصفوف المتأخِّرة عن واجب من الواجبات الكفائية التي كان يتسنمها الكبار في مرحلة من مراحل هذه الأمة.

• **رحل عمر وهو خليفة للمسلمين، وقد أدَّى فيهم واجب هذه الخلافة في صورةٍ قلَّ أن تتكرر في الحياة.**

رحل وقد استنفد من عمره في سبيل الله تعالى كل شيء، وخدم دينه من خلال تلك المسؤولية في كل شيء؛



فأين هذا الواقع ممن يديرون للأمة اليوم في واقعها شأناً، ويتلطخون بآثار هذه الوظائف، ويسرقون من مالها العام، ويتخلفون فيها وعنها؛ حتى ضاعت بهم ومن خلالهم حقوق المسلمين.

كم من مسؤول يؤدي دوره! وكم من مسؤول يستشعر أنه على ثغر ويقوم بواجب الجهاد على ذلك الثغر! وكم من مسؤول يخاصم دين الله تعالى في تلك المكانة، ويقف حجر عثرة أمام مصالحه، وقد بذل كلَّ ما يمكن في سبيل الباطل، وفي النهاية لفظه التاريخ على جنبات الطريق لم يأبه به!..

- **رحل عمر رضي الله تعالى عنه بعد أن سأل عن قاتله، وحمد الله تعالى أنه لم يكن على يد أحد من المسلمين**، وإنما على يد عدو؛ فللَّه ما أبهج هذه الروح وما أصدقها مع ربها وهي تتمنى ألا تلقاه بدم أحد أو بظلمه أو بالوقوف دون حقوقه وآماله.

- **الشعور بهذا الدين من أعظم مقومات الحياة في واقع أصحابه**! ولن تجد حافلاً بالحياة إلا وهو يشعر بدينه، ويرزح بهمومه، ويجود بأوقاته وأفكاره في سبيل نهضته وبقائه.

وإذا أردت أن تعرف هذا المعنى فانظر لسيرة هذا الكبير وهو يودع الأرض، والدماء تتدفق من جسده، وقد أيقن تمام اليقين أنها آخر لحظاته التي يتنفسها في الدنيا، ومع ذلك قرر مجلساً للشورى ضماناً لبقاء الإسلام، وكلف فيهم إماماً في تلك الفترة، وأدخل معهم ابنه، ولكنه ليس له من الأمر شيء، وهكذا هي النفوس الكبيرة التي حتى الموت لا يستلب شعورها بدينها، ولا يقف دون أحلامها الكبرى، وتظل تستشعر الأمانة الملقاة على عاتقها وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة. وهكذا هي النفوس التي تستعلي على شهواتها؛ يُدْخِل ولده في المجلس ولكنه يوصي بأنه ليس له من الأمر شيء، وإذا لم يصل الصفاء والإخلاص والتجرد والاستعلاء على الشهوات إلى هذا الحد وإلا فلا مفروح به في قصة ناجح في التاريخ.

- **رحمك الله يا عمر! رحمك الله أيها المثير في واقعك! الكبير في مساحتك، الذي لا شبيه لك في معركة الحياة!.**

كنت باب الفتن، وموتك كان كسر بابها، ورحيلك كان إيذاناً بتطفّل السفهاء! لقد كنت مثيراً لأقصى درجة، ومهما بلغ شأن الرجال بعدك فلن يبلغوا إلا يسيراً من تلك الذكريات!.



كنت كبيراً في ورعـك، وزهدك، وقوتك، وخشـيتك، وسلطانك.. رحلت وبقيت سيرتك مورداً عذباً لطلاب العلم، والقادة، والمؤثرين، وصُنّاع الحياة، ولكل شـاب في الأمة ترزح همومه في صدره للمشـاركة في بنـاء واقعه وإحياء رسالته والقيام بدور في أمته.

وإن أمة فيهـا أمثـال هـذا الخليفـة لهـي حقيقـة بالعز والتمكين.

ومن الله العون والتوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين.





ثالث الخلفاء الراشدين

عثمان بن عفان رضي الله عنه

- اسمه ونسبه وصفاته الخلقية.
- أزواجه وبنوه.
- فضائله.
- إسلامه.
- صفاته ومميزاته.
- عبادته.
- مشروع الحياة.
- قصة الخلافة.
- جهاده.
- مقتله.





اسمه ونسبه وصفاته الخلقية

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، يكنى في الجاهلية أبا عمرو، ثم ولد له عبد الله فكني به، ويلقّب بذي النورين.

ولد بعد عام الفيل بست سنين. وأمه أروى بنت كريز، أسلمت وماتت في خلافته، وأبوه هلك في الجاهلية.

وكان رجلاً وسطاً لا بالطويل، ولا بالقصير، رقيق البشرة، كثَّ اللحية، يصفّر لحيته، حسن الوجه، أصلع، طويل الأنف، ضخم الساقين، طويل الذراعين، كثيف الشعر، جمته أسفل أذنيه.

* * *

- ولا كبيرَ علمٍ بهذه الصفاتِ لولا أنه جرى بها تعريف الرجال وسماً، ولا علاقة لها بالعمل في شيء،

والرجال لا تُعرف بصفات جسد، وإنما تتمايز بما تصنع من أحداث. وإذا أردت أن تعرف قدر الرجال فانظر إلى البون الشاسع بين المعنيين.

وكلما طالت المسافة الزمنية بيننا وبين ذلك الجيل شاعت الجاهلية، ورقَّت القيم، وعظم أمر الأجساد على حساب الأرواح والقلوب! وأنت في زمن يقيّم على الصور، ويعتني بالمظاهر، ويحتفي بالأشكال على حساب المعاني. والله المستعان.







أزواجه وبنوه

تزوج ثماني زوجات؛ على رأسهنَّ بنتا نبي الله ﷺ: رقية وأم كلثوم، وولدن له أربعة عشر ولداً: تسعة ذكور، وخمس بنات.

***

• **تزوج ثماني زوجات؛ ولم يأتِ في سيرته رضي الله عنه أن هذا الزواج وقف حائلاً دون أمانيه**، وشاع في زماننا ما يجعل هذه القضية مفترق طرق في أذهان أصحاب المشاريع، وإن كان في الواقع من يفاخر به وهو قدوة في حركته ونضاله وأفكاره ومشاريعه، وهو محسوب من المعدِّدين؛ فلا عبرة بالأوهام، وحُمّال الأفكار والناهضون بهمومهم ومشاريعهم قادرون على صناعة أحلامهم مهما كانت العقبات الحائلة دون ذلك، فرضي الله تعالى عن عثمان وأرضاه.

• **الأولاد زينــــة الحياة كمـــا أخبـــر الله تعالى، وإذا أصلحهم الله تعالى كانوا عون الحياة ومواقفها الجميلة،** وكم من ولد ســقى والده رحيــق الأيام! وكــم من خيرات تحققت لوالد من أثر ولده!.

وإذا قام الأب بحقهم من الرعاية وكمال الأدب والتربية على المعالي؛ دفع للإســـلام رايات يُشْــرِف منها على بلوغِ أمانيه، وكم من ولد صالح هيّج الذكريات في تاريخ والده! ولو لم يكن في مثل هذا المعنى إلا قول رسول الله ﷺ : «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثـــلاث... أو ولد صالح يدعو له**» لكان حدثاً يستحق الحياة.







فضائله

كان كبيراً شــريفاً في أيام جاهليته، شديد الحياء، ثري المال، دفع منه للإسلام ما بسط به واقعه في تلك الأزمان، ولم يســجد لصنم، ولم يقترف فاحشة، ولم يشرب خمراً.

أسلم في سن الرابعة والثلاثين من عمره، وهو رابع من أسلم من الرجال.

وكانت له مكانة في الجاهلية عند قومه، فكان قومه يحبونه أشد الحب، ويوقرونه، قال رحمه الله تعالى: ما تغنيت، ولا تمنيــت، ولا مســت ذكري بيمينــي منــذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام.

وكان على علم بمعارف العرب في الجاهلية؛ كالأنساب والأمثال وأخبار الأيام.

❁ ❁ ❁

• **ومن سلمت له البدايات فغالباً ما تشرق له شمس النهايات بجد..** والذين يأنفون عن النقائص أيام بهجتها وعدم الرادع عنها، ويتفوَّقون على شهوات النفوس؛ يشرفون في الإسلام إلى غايات المجد ورايات الإصلاح.

كم من نوافذ خلل على صاحب راية وهو في ربوع الإسلام! فإذا ما خُلّد تاريخُ رجلٍ أَنَفَه عن باطلٍ باسطٍ مستنقعَه في الأرض دون نكير؛ كان ذلك حقيقاً بالشرف والعز والمعالي.

واشوقاه إلى مثل هذا التاريخ في رحاب الإسلام؛ فكيف به في الجاهلية؟! واشوقاه إلى رجل يأنف من كير الجاهلية ومستنقع الفساد في أيام بسطته وفسحته! واشوقاه للذين يأنفون عن الدنايا لوازع النفوس! ويا خيبة رجال في مباهج الإسلام وما زالوا في مستنقع الشهوات!.

• **جملة من الكبار يأنفون من النقائص ويتركونها؛ ليس ديناً ولا تعبُّداً، وإنما شموخاً وعزّاً!** جُبلت نفوسهم على العز والشرف والمعالي، ويأنفون من كل ذميم ولو كان يسيراً.

ومثل هؤلاء إذا دفع الله تعالى بهم لدينه وساحات الشرف؛ كانوا جمالاً يورق قبل أوانه، وحديثاً ذائعاً في الأوساط، وربيعاً يبدد مساحات الصحراء. والله المستعان.





إسلامه

أسلم رضي الله تعالى عنه وأرضاه وقد ناهز الرابعة والثلاثين من عمره، ولعله رابع من أسلم.

وأوذي وعذّب في سبيل الله تعالى على يد عمِّه الحكم بن أبي العاص؛ فقد أخذه وأوثقه زاجراً له بقوله: أترغب عن ملة آبائك إلى دينٍ محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين. فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه: والله لا أدعه أبداً، ولا أفارقه. ثم تركه بعد ذلك.

وكان ممن هاجر إلى الحبشة كلتا الهجرتين فراراً بدينه من الفتن.

❁ ❁ ❁

- أسلم مبكراً رضي الله تعالى عنه، وهو صيد من صيود أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه؛ دعاه للإسلام فأقبل يسوق مشاهد العز



والتفوّق إلى ساحات الإسلام. **وكم من صاحب قلب طيب ليس بينه وبين هذا الدين إلا دعوة صادق له إلى الطريق.**

وهذا الكبير من هؤلاء؛ لم يتلعثم في إسلامه، ولم يطل طريقه، ولم يتلكَّأ في بلوغ تلك الغايات الكبرى، وإنما أقبل بمجرد دعوته، وشرف بدين الله تعالى بمجرد عرضه عليه، واستقبل الحياة الكريمة من خلال موقف من المواقف.

وفي هذا دعوة للناهضين في هذا المشروع أن يأخذوه بحقه، وأن يسقوا المسلمين من عذبه وجماله، وأن يهبوهم الحياة العاجلة قبل فوات الأوان.

ما أحوج الأمة إلى رجال يشعرون بدورهم، ويقومون بواجبهم، ويهبون للناس السعادة التي يبحثون عنها، والأحداث الكبرى التي ينتظرونها.

كم في هذه الدنيا من أمثال عثمان لا يحول بينه وبين دين الله تعالى إلا دعوة صادق، وأحلام ناهض، وهموم كبير، ويأتي منقاداً لا يملك أن يقول للخير: لا!..

- أسلم وحسن إسلامه، ولقي في الطريق ما لقي من عذاب، والكبار تهون عليهم وقائع التعذيب في سبيل تلك الغايات! **وكم من كبير خرج ذَهَباً خالصاً من كير النار.**



المحن والشدائد في الطريق سُنة لا تتخلَّف عن صاحبها، وتلبس ألواناً مختلفة ومتنوعة، وكل حسب واقعه وأيامه، وقد تأتي في ثوب نعيم يقضي على أحلام صاحبه! وكم من صابر متجلّد على البأساء خرَّ في أول خطوة يلقاها في ربيع الأيام!.

يا أيها القراء، ما أنتم لاقون سيرة متوهجة إلَّا وستقرؤون في مساحاتها جزءاً من سنن الابتلاء، فسيروا وأملوا وأبشروا؛ فالطريق محفوفة بأحوال الصالحين المصلحين، والأمثلة أبلغ من أن تأتي عليها هذه المساحات، وكم من آمال أتت من طريق هذه السنن لولاها لما كانت.

وما زالت سنن الابتلاء ماضية: ﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣] درس يُتلى على مسامع الأمة كل حين.

- **هذا الدِّين ليس دعوى في صورة كلمة يدخل بها الإسلام ثم ينتظر بعدها مباهج الربيع! وإنما له أثقال وأحمال؛** يحتاج من يقبله ويتمثله أن يأخذه بحقه، ويعيش همومه، ويرابط على مبادئه وقيمه وأفكاره وتصوراته، وأن يتحمَّل في سبيل ذلك كل شيء.

ما أحوجنا في زمن الفتن إلى من يرفع رأسه عالياً ليطاول السحاب، ويمضي واثقاً من الطريق لا يبالي بصيحات الناعقين والهامشيين في الحياة.

هذا عثمان يُقتاد من عرض الطريق ويُربط في أوتاد الأرض، وليس أمامه من خيار إلا أن يترك الدين ويتخلى عن الفضيلة ويرمي بالمنهج خلف ظهره ويعود للجاهلية من جديد.. ولكنه يحثو في أفواههم الترابَ، ويصدح في آذانهم بالتحديات قائلاً: (**والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه**)، وإن لم يكن المسلم صاحب المنهج بهذه الحرية فلا مفروح بإسلامه أو توبته في شيء.

كم من باطل قُتل وبُددت أحلامه على عقائد الناهضين في الحياة! وكم من حق جاوز الفضاء وبلغ مساحات طويلة من الأرض لعزة أصحابه وحامليه، والله المستعان!.

• هاجر إلى الحبشة مرتين، **ومن اتضح له الطريق استسهل في سبيله كلَّ شيء، والبيئات التي لا يجد فيها الإنسان موطناً لدينه لا تستحق أن تكون موطناً لجسده.** وما يصنع عاقل بأرض لا مساحة فيها للدين، ولا رواء فيها للروح.

الأرض تصلح للعيش بقدر ما فيها من مباهج هذا الدين، وما لا فلا.



والكبار لا يرضون بالضيم، ولا يقرون في واقع يشعرون فيه بالهزيمة، وإنما يبحثون عن واقع فيه رواء الدين والفكر والحياة.

خرج رضي الله عنه من مكة، من مهبط الوحي، من الأرض التي ولد فيها وعاش على ترابها وارتبط بها، خرج لأنها لم تعد صالحة لهداية الأرواح.

- **حامل المنهج لا بدَّ أن يكون واعياً بعقبات الطريق، وإذا استطاع أن يصبر ويتحمل شدائد المناهضين لفكرته وعقيدته ومنهجه فذاك** وهذا هو الأصل، وما عداه عارض بقدره. فإن لم يمكن فله أن يبحث عن بيئة آمنة يتعبَّد اللّٰه تعالى بها حتى تقوى بيئته ويعود إليها من جديد. المهم أن تكون القضية الأصل لديه كيف يستعين على مضاء هذا الدين في واقعه، ويعيش مرابطاً على أفكاره وقيمه ومبادئه دون خلل.

- **ما أحوج كثيراً منا أن يبحث عن رواء روحه؛** سواء في أرض يسكنها، أو بيت يجلس فيه، أو زوجة يعيش معها، أو رفقة يسير في معيتها، **وكل مساحة من هذه المساحات لا يجد فيها الإنسان روحه؛ فيجب أن يقرر تركها**، والتخلي عنها، والبحث عمَّا يماثلها في واقع

الحياة. هكذا يصنع الإيمان، وإذا حيي القلب أضاء فجاج الأرض بالتحديات.

علينا أن نعتقد أن هجرةَ عثمان هجرةُ روح لم يجد لها موقعاً في أرض مكة تلك الحقبة، وكل من لم يجد لروحه هذا الهوى فعليه أن يكون باحثاً عن مورد النجاة.







صفاته ومميزاته

كان رضي الله تعالى عنه عالماً من كبار علماء الصحابة، وكان حليماً، وفي قصة الحصار التي أديلت عليه وأمره لمن عنده من الصحابة بالانصراف رغم ظروف الواقع؛ دليل على هذا المعنى في حياته.

وكان سمحاً ليناً يحب العفو؛ ابتاع من رجل أرضاً فتأخَّر عن قبض ماله منه، فسأله عن ذلك، فقال: غبنتني! فقال له: اخترْ بين أرضك ومالك.

ولمَّا زحمه رجل على الباب وسلَّ عليه سيفه؛ فسأله: لِمَ تصنع هذا؟ قال: ظلمني عاملك باليمن. فقال له: أفلا رفعتَ ظلامتَك فتنتظر ننصفك أو لا؟! ولم يزد أن قال: عبدٌ همَّ بذنب فكفَّه الله عنه.

كان من أشد خلق الله تعالى حياءً، وقد قال: ما تغنيتُ، ولا تمنَّيت، ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت

بها رسول الله ﷺ ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام.

وكان رضي الله عنه كريماً لم يجفَّ عطاءُ يده من فجر الإسلام إلى يومنا هذا، وما قام به في غزوة تبوك، وشراؤه لبئر رومة، وتوسعته للمسجد النبوي، وتصدقه بالقافلة المحمَّلة في عهد الصديق إلا بعض تلك المباهج التي يفتح أبوابها في التاريخ.

وكان شجاعاً، وهو الذي شارك رسولَ الله ﷺ في مغازيه، وذهب إلى قريش سفيراً للنبي ﷺ رغم ما يُكنّون من العداوة للإسلام ورجاله، وأصرَّ على البقاء على الخلافة زمن الفتنة وقد خيَّروه بين التنازل أو القتل.

وهذه الصفات وأمثلتها طافحة في سيرته، ومعالم على شخصيته رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

بلغ من زكاء هذا الصالح: أن النبيَّ ﷺ قال حين رجف به الجبل وبأبي بكر وعمر وعثمان: «اسكن، فليس عليك إلَّا نبي وصديق وشهيد».

وحين أقبل يستفتح باباً على النبي ﷺ واستأذن ليدخل، قال النبي ﷺ : «افتح له، وبشِّره بالجنة على بلوى تصيبه».



وحين دخل على النبي ﷺ جمـــع ثيابه عليه وغطى فخذه وقال: «إنه رجل حيي، وإنِّي خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحال التي كنت عليها ألا يبلغ لي في حاجته».

وقال في مناسبة أخرى لذات الموقف: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة!».

***

• **وإذا أخذ الإنســـان بزمام العلم ملك كلَّ شيء**، وقد نقل للأمة بعضاً من آثار الوحـــي، وعلَّمها جزءاً من دينها، وما رأيت مثيراً كبيراً في شأنه مؤثّراً في مساحته كصاحب العلم، وحاجة الناس إليه أعظـــم من حاجتهم إلى الطعام والشراب! وما يصنع الجاهل من مباهج في نفسه فضلاً أن يصنع شـــيئاً في واقعه؟!.. العلم راية إذا هتف في مساحة إنسان هتفت به الذكرى في كل مكان.

ومـــا أحوج قارئ هذه الأســـطر أيّـــاً كان تخصصه إلى الإمساك بزمام العلم؛ لا أعني علم الوحي فحسب؛ وإن كان هو الأصل في كل باب، وإنما أعني التخصص الذي يملك به الإنسان ساحات الإبداع.

يا أيها الشـــباب! يا صُنَّاع الحيـــاة! يا كُتَّاب التاريخ! ما زالت الأحلام ماثلة، والأحداث الكبيرة يكتبها الأحرار،

ومن عرف قدره أدرك مساحة تأثيره، وعني بها، ووسّع أثرها، وكتب من خلالها ما يريد.

تعرَّفوا على دوائر تأثيركم، ومساحات همومكم، ونقاط تميزكم، ثم اعتنوا بها، واصنعوا من خلالها مجدَكم وتحدياتِكم في واقع الحياة.

- اجتمع فيه رضي اللّٰه تعالى عنه وأرضاه أخلاق الحلم والسماحة واللِّين والعفو والصفح، ولو لم يكن من ذلك إلا عفوه وصفحه وحلمه في قصة الثائرين عليه في بيته، وأمره لمن عنده من المهاجرين والأنصار بالانصراف إلى منازلهم وكانوا قادرين على منعهم؛ لكانت كافية عن كل شيء.

وإذا تأملتَ تلك اللحظة التي يصطف فيها الثوار على بابه يريدون قتله والإجهاز عليه، ومع ذلك يأمر رضي اللّٰه تعالى عنه وأرضاه أعوانه وجنوده بالانصراف عن الباب، وتركهم يفعلون ما يشاؤون؛ أدركتَ ما يتمتع به هذا الكبير من مفاهيم وأفكار.

فَرْقٌ لا تحدُّه مساحةٌ بين إنسان يختلق كل شيء من أجل الخلاف والنزاع والفرقة، وآخر يترك من خالفه يريق دمه، ويمنع كلَّ من يقف في الطريق إلى ذلك.



• **ثمَّة سِيَر لا تكرِّر صوراً مكرورة، أو أحداثاً معادة؛ وإنما تصنع مشاهد لا عادة للإنسان بها، ولم تُقرأ في سير الغابرين.** وسيرة هذا الكبير هي من تلك السير التي تعلِّمك أنَّ الحياة لذواتنا شيء، والحياة لدين اللّٰه تعالى شيء آخر.





عبادته

• كان رضي الله تعالى عنه عابداً، وقد جاء عن بعض الصحابة في تأويل قول الله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٩]: أنه عثمان رضي الله تعالى عنه .

وكان كثيرَ الصِّلة بكتاب الله تعالى، حافظاً له، وكان حجرُه لا يكاد يفارق المصحف، وما مات رضي الله تعالى عنه حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه، حتى قالت امرأتُه يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يُحيي الليل بالقرآن.

وكان شديدَ الخوف من الله تعالى، كثيرَ البكاء، وكان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتلَّ لحيتُه من ذلك، فقيل له في ذلك، فقال: القبر أول منازل الآخرة؛ فإنْ نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ فما بعده أشد منه.

❁ ❁ ❁



• وهذه صفات الأتقياء والمصلحين وروّاد النهضة في كل زمان ومكان، **ومن لم يعـــرف ربَّه بيقين لم يقم له بحق في العالمين، والعلم هو الخشـــية**، ومهما بلغ علمُ الإنســـان إذا لم يكن له أثر عليه بمثل هذه الصورة، وإلَّا فعلمه مدخول.

وكلمـــا عظم علم الإنســـان بربـــه؛ عظمت خشـــيته له تعالى.. وكم من علم قعد بصاحبه عن المكرمات! ومن لم يجد رواء روحه في هذا الباب، وتزدان مشاهد التطبيق في واقعه، وإلا فلا مفروح بما أخذ ولو كان يعرف كل شـــيء، والله المستعان.

• تأمَّل هذه العلاقة بالقرآن، وانظر أين أودتْ به في النهايات! **إن العلاقة بهذا القـــرآن تُولّد روحاً وتفضي بصاحبها إلى الحياة**.. وقلَّ أن تلقى مصاحباً لهذا القرآن إلَّا وتجد ريّاً في أخلاقه وعبادته وتعامله، ولا يخالف هذه الحقيقة إلا من لم يـــرزق فقهاً في معانيـــه، أو لم يرزق تدبُّراً لآياته. والله المستعان!.

• ما أحوجنا لقـــراءة هذا الفصل بالـــذات من علاقته رضي الله عنه بالقرآن: (**وكان حجرُه لا يكاد يفارق المصحف، وما مات رضي الله تعالى عنه حتى خرق مصحفه من كثـــرة ما يديم النظر**

فيه، حتى قالت امرأته يوم الدار: اقتلوه أو دعوه، فوالله لقد كان يُحيي الليل بالقرآن) كم يفصلنا عن هذا المعنى! وكم نحتاج من أوقات لبلوغ نهايته!.

باتت وسـائل التواصل الاجتماعي تأخذ من أوقات المسلمين سبع وثماني وعشر ساعات، وليس للقرآن في وقت صاحبه بضع دقائق يستلهم منها الحياة.

• **إنَّ علاقتنا بالقرآن فرعٌ عـن حياة قلوبنا**، ومن لم تجد له ورداً ثابتاً في كتاب الله تعالى؛ فلن تجد له مشاركة روحية مشاعرية وجدانية في واقع الحياة، ذلك لأن الحياة فرع عن ذلـك الوحي.. ومن عرف شـجون اللحظات التي يقضيها المتدبِّر لكتاب الله تعالى؛ أدرك ما يقال عن هذا المعنى الكبير، ومن اكتفى بالصور استغرب ما نقول.

***





مشـروع الحيـاة

• **كان تاجراً، رزقه الله تعالى مالاً وفيراً**، وفتح الله تعالى عليه في ذلك فتحاً كثيراً، وما كل صاحب مال بمغبوط! **وقد جعل منه مشروعاً كبيراً في الدنيا، ورفع رايته ووسع به أثر الإسلام ومد في تاريخه**، وحوّل تلك الحقبة التي عاشها إلى مساحات من الربيع.

وهو صاحب بئر رومة التي قال فيها النبيُّ ﷺ : «**من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له في الجنة؟**»، وقال: «**من حفر بئر رومة فله الجنة**» وكانت قبل ذلك لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فتقدم لها صاحب الراية، ودفع فيها خمسة وثلاثين ألف درهم، وتحوّل المسلمون بهذه المنة من منتظرين على حافتها لمنن المنفقين، إلى ملك خاص يردونه في كل حين ورؤوسهم تطاول السماء.



وصدق رسولُ اللّه ﷺ : «**لاَ حَسَدَ إِلّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ...**».

وقـد أثرى هـذا المـالُ كلَّ شـيءٍ فوسَّـع به مسـجدَ رسـول اللّه ﷺ بـأرض اشـتراها لصالحه تجاوز خمسـة وعشرين ألف درهم.

ويوم العسـرة وما أدراك ما يوم العسرة! يوم الحَنين إلى المال، والشوق إلى ما يُدفع بالمسلمين إلى أمانيهم؛ غزوة تبوك على الأبواب ولا مال، فلولا توفيق اللّه تعالى، ثم مال هذا الصالح لقعد المسلمون في الطرقات ينتظرون!..

ما أحوج هذه الأمـة للمال الصالح فـي يد العبد الصالح! واشـوقاه لرجـل يرفع هـذه الرايـة، ويمد في مساحتها، ويقيم بها مشـروعاً في أمته، ويحميها من ثورة الباطل بالنعيم العاجل من الدنيا.

- **المال مشروع، ومن تيسَّر له ذلك ورزقه اللّه تعالى مالاً، فليكتب به حظَّه في الداريـن**، وليبلغ منه مناه، وليجعل من هذه الشـخصية قدوة في إثارة مباهجه في واقعه ومساحته..

- وإذا لم يرزقك اللّه تعالى مالاً وافراً تبهج به واقعك، وتثري به مسـاحتك؛ فلا تتخـلَّ عن هذه المسـاحة التي



نتحدث فيها عن المال لأنك لست تاجراً، المسألة أوسع من هذا الضيق الذي تفترضه والتصور الذي تبنيه.

الحاجة الكبرى ليست لمال ذلك التاجر، وإنما لقليل أفراد هذه الأمة؛ ماذا لو أن كل فرد من أفراد هذه الأمة استشعر دوره المالي وأخذ جزءاً يسيراً وسد به حاجة مشروع، أو دفع به لإنمائه؟! لو أن كل فرد صنع هذا لما بقي محتاج في المسلمين، ولما احتاج صاحب هَمٍّ للوقوف على أبواب المحسنين يتكفَّفهم فيعطونه تارة ويمنعونه أخرى.

ماذا لو استقطع كلٌّ واحد منا من مرتَّبه ما يستطيع! واللّٰه لو تمَّ ذلك لجرت الحياة في مشاريعنا كما نشاء. **ما أسوأ البخل! ولا أسوأ منه سوى الأنانية، وليس أقبح من صورة إنسان يأكل بماله في بطنه، ويكنز لوارثه، قبل أن يهب منه لدينه ومنهجه ورسالته في الحياة.**







قصة الخلافة

١ - تم اختياره خليفة للمسلمين بعد عمر ﵁ من خلال مجلس الشورى الذي ضربه الخليفة عمر ﵁، الذي تكوَّن من: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وأمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم، ويشركوا عبد الله بن عمر في الشورى ولا يكون له من الأمر شيء، وأمر صُهيباً الروميَّ أن يصلّي إماماً مدة الثلاثة أيام، وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات.

وبعد صلاة الصبح من آخر يوم من شهر ذي الحجة؛ أقبل عبد الرحمن بن عوف ﵁ وهو الذي نزع يده من أمر الخلافة، وعزل نفسه منها مبكراً، وقد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، فتشهَّد عبد الرحمن ﵁ ثم قال:



أما بعد، يا علي، قد نظرتُ في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً. فقال: أبايعك على سُنة الله ورسوله والخليفتين من بعده. فبايعه عبد الرحمن، وتتابع الناس على بيعته، وجرت البيعة الكبرى لعثمان رضي الله تعالى عنه وأرضاه.

***

- وتحوَّلت المسألة من خيار إلى تكليف، وتحمَّلت عنقُه ذممَ المسلمين في تلك الحقبة، ويا لها من أمانة، ولولا أن الله تعالى قضى في سننه أنه لا بدَّ لكل جماعة من أمير، ولكل أمة من خليفة، لنأى كثير من المُصلحين عن تكاليفها! **ومن صَدَقَ اللهَ تعالى فيها صَدَقَهُ اللهُ تعالى، وهي باب خير لصاحبها وإن كانت تكاليفها تجلُّ عن الوصف.** لا أعني بالضرورة الخلافة الكبرى لدولة أو لأمة، فتلك لها رجالها، وإنما أعني كل مسؤولية تحمَّلها الإنسان وتولَّى تبعاتها في الدنيا.

- **حاجة الأمة اليوم ملحَّة جدّاً إلى رجال مؤهَّلين لحمل هذه الأمانة، وقادرين في الوقت ذاته على القيام بحقوقها والإبداع فيها قدر الإمكان**، وهي من فروض الكفايات التي إن تخلّف عنها عامة المسلمين أثِموا جميعاً.

وقد تقلَّصت في مســاحات كثيرة إمَّا لتخلِّي الناهضين عن إدارتها، والانكفاء على أنفســهم، والعيــش لذواتهم، والتحــرُّج من أثقالهــا، أو لأنَّ مــن تولَّى شــأنها لا يتقي اللّٰه ﷻ، وأخذها جاهاً ومكاناً، ولا يشعر بهمومها وأثقالها في شيء، واللّٰه المستعان.

***

٢ ـ رقى المنبر رضي اللّٰه تعالى عنه وأرضاه في ذلك اليوم، وخطــب الناس وذكّرهم باللّٰه تعالى، ورســم لهم ملامح خلافته، وقرر الشــورى كمنهج، واتخذ مجلســاً لذلك من كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، ورسم منهجاً للعدل قائلاً: (فإني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء اللّٰه تعالى).

وأشــاع مبــدأ الحريــات القائمة على الشــريعة، والمنضبطة في حدودها ومســاحاتها؛ كحرية العقيدة، والتنقل، وحق الأمن، وحرمة المسكن، وحرية الملكية، وحرية الرأي ونحو ذلك.

كما اهتم بالاحتساب، وجعله ضمن أولوياته، وتولى ذلك بنفسه؛ فقد أنكر على محمد بن جعفر بن أبي طالب لبسه الثوب المعصفر، ومنع الناس من الانشغال بالحَمَام

وأمر بذبحه، ونهى عن اللعب بالنرد وأمرهم بتحريقه أو كسره، ومن رأى منه شرّاً أو أشهر سلاحاً أخرجه من المدينة، ونهى عن الخمر، وحذّر منها.

❁ ❁ ❁

- **وكل مسؤولية هي أحوج ما تكون إلى منهج واضح مستقيم تتحاكم إليه الأمة في كل ما يجري من شؤونها،** وقد صنع لها ذلك، وقرر في ذلك المنهج أن الأصل الذي يعود إليه، والمنبع الذي يشرب منه، والمنهج الذي يستقي منه مجريات تلك الخلافة وأمور تلك الدولة: الوحي قرآناً وسُنةً، والاقتداء بالشيخين أبي بكر وعمر، وإجماع الأمة، وكل مسؤولية لا تُبنى على هذا المنهج لا يتم لها ما تريد، وإن عاشت زمناً من عمرها إلَّا أنها إلى ضلال.

وما عنتْ أمةٌ أو مجتمع أو دولة أو حتى فرد بهذه الشريعة، إلَّا رأت توفيقاً ورشاداً! وما كان من تفريط فعاقبته إلى بوار.

وكل حضارة أو نهضة لم تجعل الشريعة والوحي قاعدتها الكبرى؛ صارت إلى بوار وفساد مع الأيام. والله المستعان!.

- **كل مسؤولية لا يجري فيها النظام لا تجري فيها الحياة**، ولا يصلح لها طريق، وتصيبها العثرات، وتظل تُعاني من التخلُّف زمناً طويلاً من عمرها، شأنها في ذلك شأن سنن الله تعالى.. حتى نفسك إن لم يكن لها نظامٌ ضابطٌ لحياتها وإلا صارت في النهاية إلى بوار، ولا تكاد تحتفل بشيء في النهاية.. ومثل ذلك أسرتك وبيتك ومسؤوليتك ووظيفتك وكل شأنك في الحياة.







جهـاده

١ ـ أقام رضي الله تعالى عنه علمَ الجهاد في زمنه، وواصل مسـيرة الفتوحات، وجهد في توسـيع رقعة هذا الدين، فواصل فتوحات الكوفـة وأذربيجان (٢٤هـ)، ثم فتوحات الشـام وفتوحات مصر، وكلها كانت زيادة قناعة بتمدد الإسـلام وسعة رقعته وتوسيع دائرته.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: ففتح الله علـى يديه كثيراً من الأقاليم والأمصار، وتوسّعت المملكة الإسلامية، وامتدت الدولة المحمديـة، وبلغت الرسـالة المصطفوية في مشارق الأرض ومغاربها، وظهر للناس مصداق قول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥].

***

• **وهذه راية الجهاد متى ما ارتفعت في واقع كتب الله تعالى للأمة العزَّ والنصر والتمكين**، وما حاجة الأمة إلى شيء في يومها كحاجتها للعزة التي استلبت منها، ولن يردَّ هذه العزةَ إلَّا مباهجُ الجهاد في سبيل الله تعالى!.

وما من أمنية أثمن وأعظم عند العدو من أن تسقط هذه الراية، وتتضاءل هذه القيمة، وتضعف في واقع أصحابها، وهم يدركون تماماً أن رايات النصر والفتوحات التي تعمُّ الأرض اليوم إنما هي نتيجة لتلك الراية التي كانت عزّاً وفخراً وروحاً للسابقين، ونحن في زمنٍ بات الحديث عن هذا العز ضرباً من الفوضى، وتهمة تُلقي بصاحبها في غياهب التهم والسجون، وكذلك الحال إذا ضعفت أمة من الأمم عن الفخر بقيمها وعزها الكبير. والله المستعان، وعليه التكلان، ومنه العون والتوفيق والسداد.

***

٢ ـ ومن أعظم أعماله وأهمِّها: جمعه للقرآن الكريم، فجمع لذلك المهاجرين والأنصار، وشاورهم في الأمر، ووافقوه على ذلك بالإجماع.

والفرق بين جمع أبي بكر للقرآن وجمع عثمان: أن جمع أبي بكر كان لخشية ذهاب القرآن؛ لأنه لم يكن



مجموعاً في موضع واحد، فجمعـــه في صحائف مرتباً، وجمع عثمان كان لما كثر الاختـــلاف في وجوه القراءة؛ فأدّى ذلك إلى تخطئة بعضهم لبعض، فخشي عليهم من ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد، واقتصر على لغة قريش؛ لأنه نزل بلغتهم.

***

• **وهذه قرارات الكبار! والقضايا الكبرى لا يقوم بها الصغار، وإنَّما يدير شأنَها أصحابُ الرايات،** وكم من قرار صنعه كبير ظل التاريخ يتحدث به ما بقيت الدنيا.

ليس الشـــأن أنْ تشارك في شـــيء، وأن تحاول صناعة شيء آخر، وإنما الشأن أنْ تضرب بكل ما تملك فيما يُبْقي لك عزّاً في الدارين.

وإذا قرأت التاريخ فســـتجد فيه قرارات كثيرة أخطرها وأهمها وأكثرها أثراً ودوراً ومساحة تلك التي أصدرها كبار في التاريخ، وتحملوا في ســـبيلها كل شـــيء.. فأدِرْ شأنك، وانظر مـــاذا صنعت في واقعك، واكتب لنفســـك حظها في الدارين قبل الفوات.

• **ما يتميّز به الكبار: أنهـــم إذا أرادوا أمراً جمعوا له الرجال، وإذا أرادوا صناعة شيء بسطوا له أسباب النجاح.**



الشـــورى منهج يجـــب ألا يتجـــاوز ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]، وهي تَخَلٍّ عن الحول والقوة، وفقه بالنفس وأنها في حاجة ماسَّة إلى الأعوان الصادقين.

كم من قرار اتخذه مسؤول فكان وبالاً على نفسه ومجتمعه وأمتــه، وكان يمكن أن تدرأه الشـــورى وتقف أمـــام عوائقه وأحداثه! **حين تتحول الشورى إلى مبدأ لا يمكن تجاوزه في حياتنا الشخصية، وبيوتنا، وأعمالنا، وكافة شؤوننا؛ سيتغير وجه العالم، وستتحول تلك الأخطاء المتكررة إلى نجاحات يسعد بها الإنسان ويسعد بها العالم من حولنا.**







مقتلـــه

بدأ حادث القتل بفتنة بدأت من الكوفة، وتوسّـــعت لبعض الأقطار.

وتزعّم عبد الله بن ســـبأ اليهودي رأس هذه الفتنة، وأوقد فتيلها، وأضرم نارها حتى اســـتوتْ في جملة من الافتراءات على عثمان رضي الله تعالى عنه؛ كإتمامه الصلاة في السفر، وأنه صنع لـــه حِمًى وضيّق على المســـلمين، وأنه أبقى نسخة واحدة من المصحف وحرّق ما سواها، وأنه استعمل الأحداث وولَّى الصغار، وأنه قدَّم أهل بيته في الأعطيات من مال المسلمين.

ومع أن عثمان رضي الله تعالى عنه جمعهم وسمع منهم، وأجاب على هذه الإشـــكالات؛ إلَّا أنهم اســـتمروا في طريق الفتنة، وتجمَّعوا من الأمصار حتى دخلوا المدينة، واســـتثمروا انشغال الناس بالحج، وحاصروا الخليفة في بيته، وخيَّروه بين ترك الخلافة أو القتل.

وعرض جملةٌ من الصحابة حمايتـــه والوقوف بينه وبين أهـــل الفتنة، لكنه رفض رضي الله عنه أن يُراق دم بســـببه، وأشـــار إليه ابن عمر رضي الله عنه بعدم التنازل قائلاً: إذا خلعتها أنت مخلّد في الدنيا؟ قال: لا، قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلـــوك؟ قال عثمـــان: لا، قال: فهل يملكون لك جنة أو ناراً؟ قـــال: لا، قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمّصكه الله فتكون سُـــنة كلمـــا كره قوم خليفتهم أو إمامهم قتلوه.

فهاجم المتمرِّدون الدار، وتصـــدَّى لهم جملة من الصحابة، ثـــم ناداهم عثمان قائـــلاً: أنتم في حلٍّ من نصرتي، ثم استفتح صلاته يقرأ: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طـه: ١ ـ ٢]، ثم أمر جميـــع المدافعين بالانصراف، فلم يبق فـــي الدار إلا هو وآله، وفتح رضي الله عنه باب الدار ونشر المصحف وأخذ يقرأ منه، وكان صائماً، ثم انقضُّوا عليه وقتلوه. والله المســـتعان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

❁ ❁ ❁

• مشهد الموت واحد؛ سواء جاء على سريرك، أو في الطريق، أو على يد عدوك في ساحة جهاد، أو على أيدي



الطغاة.. لا فرق! في النهايــة تؤخذ إلى قبرك، وتنقل من دنياك، وتودِّع كل شيء، وتستقبل في تلك المشاهد الحياة التي من أجلها قضيت تلك السنين.

وليس من الوعي ولا من الفقه أن يكبر مشهد الموت في صدورنا حتى تضيق بنا مســاحات الدنيــا، ونصبح ونحن نخافه، ونمسي ونحن نتوجَّس منه.

ســيأتي في يومه، وســتكون لحظته هي ذات اللحظة التي قدَّرهــا الله تعالى قبل أن يخلق الســموات والأرض بخمســين ألف ســنة؛ فلمَ التوجُّس والخوف والوجل من هادم اللذات؟!..

- أراد عثمان رضــي الله تعالى عنه وأرضــاه أن يقول للعالم حوله: **القدر الذي أراده الله تعالى سيكون؛ لا ينفع منه حاجب باب، ولا حامل ســلاح**، ولذا قــال للجميع: انصرفوا، دعوا وسطاء الموت أن يأخذوا مداهم، ولن يصل إلَّا في اللحظة التي أراد الله تعالى.

ما أشــد رهبتنا من الموت! وما أروع استقبال عثمان له! يحتشدون على بابه وهم يحملون أســلحتهم، ويتَّجهون إليه ولا فارق بينه وبينهم إلا بضع خطوات، وهو يقول لكل

الذين يمكــن أن يؤخِّروا هذا الأجل، أو يبقــوا له زمناً في الحياة: امضوا حيثما تريدون، فهذه الجموع التي تحتشــد على الباب لا تملك من أمرها شيئاً.

إنها الثقة بالله تعالى، والتــوكل عليه، واليقين بوعد الله تعالى، والإيمان بما لم يصل إلى قلوب كثيرين.

كم مرة أجّل الإنسان ســفره قلقاً من الموت، وعاد من طريقه خوفاً منه، وفكّر ألف مرة في سفره من أجله؛ وهذا الكبير ينتظره ويستقبله، ويأخذ مصحفه ولا كأن أحداً على بابه. لله ما أحوجنا إلى اليقين!..

فرحمــك الله تعالى يا أمير المؤمنيــن، ورضي عنك، وجزاك خيراً على همومك ويقينك ورســالتك ومشروعك؛ فقد كنتَ للإسلام شيئاً عظيماً، وما زال معروفك ماثلاً في الأمة، وتتهادى أجيالها على ذكراك.

والحمد لله رب العالمين.

❁❁❁

رابع الخلفاء الراشدين

علي بن أبي طالب رضي الله عنه

- اسمه ونسبه.
- أزواجه وأبناؤه.
- صفاته الخلقية.
- إسلامه ومواقفه.
- جهاده.
- مواقفه في الغزوات.
- صفاته.
- ثمن العلم.
- تقواه وورعه.
- تواضعه.
- جوده وكرمه.
- عبادته.
- وفاته.





اسمه ونسبه

١ ـ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. ابن عم رسول الله ﷺ.

وكنيته: أبو الحسن، ويكنى بأبي تراب، ولقبه أمير المؤمنين، وهو رابع الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عن الجميع.

* * *

• وإذا قيل: علي بن أبي طالب؛ لم يُعرف غيره، وهو راية وعَلَمٌ في زمانه وما يزال، **وكم من اسم جعله صاحبه تاريخاً يتهادى إليه العالمون من خلال سيرته! وكم من اسم خامل لا قيمة له في التاريخ!** ونحن الذين نصنع واقعنا، ونكتب حظوظ أسمائنا، فنكتب لها التاريخ، أو نجعلها جزءاً من هوامش الحياة لا فرق.

* * *



٢ - ولد قبل البعثة بعشـــر سنين، والده أبو طالب الذي وقف بجوار رســـول اللّٰه ﷺ ابـــن أخيه مواقف مشـــرِّفة؛ نصر فيها دين اللّٰه تعالـــى، ووقف في وجه الباطل، وردَّ عن الدعوة سهامَ المعارضين، وفي النهاية مات كافراً رافضاً قبول هذا الإسلام، وهو أقل أهل النار عذاباً في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه بسبب دعوة النبي ﷺ له.

وأمـــه الصحابية الجليلـــة فاطمة بنت أســـد بن هاشـــم بن عبد مناف، وهي التي رَعَتِ النبيَّ ﷺ حين كفالة عمه أبي طالب له.

❁ ❁ ❁

• **ولا علاقة للتاريخ بموعد الولادة في شـــيء إلا إذا كانت حياة صاحبها فاصلة تحتاج إلـــى رصد لمجريات تاريخه وأحداث واقعه**، وما عدا ذلك فـــلا تعدو أن تكون رسماً في بطاقة صاحبها فحسب.

إن المسافات الفاصلة بين الميلاد والوفاة هي المسافة التي يســـتطيع أن يركض فيها الإنسان بجهده، ويكتب فيها عزَّه، ويأتي من خلالها على أمانيه، وما عدا ذلك فلا ينفع في شيء.



وكم من مـودِّع للأرض في ربيع العمـر وقد صنع فيها أحلام الدارين! وكم مـن معمِّر لم ينفع نفسـه فضلاً أن يكتب شيئاً لمجتمعه ووطنه وأمته!.

- **والـده أبو طالـب كان قاعدة الدعـوة، وفجرها وفخرها وعزهـا**، وقد شـرقت قريـش به وهـو يقف مع رسول الله ﷺ ويحميه من طغيان العدو، ويدفع عنه كلَّ سوء حتى تنفّسـت الدعوة واقعها، وقامت تمشي في العالم كما تشاء، **ومع كل ذلك لم يهنأ بها، ولا كان من أصحاب هذا الدين**، وذهب في النهاية إلى نار جهنم من الخاسـرين، وهو أقل الناس عذاباً يوم القيامة في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه، والله المستعان.

***





أزواجــه وأبنــاؤه

تزوج تسع نسوة، وأنجب منهن أربعة عشر ذكراً، وتسع عشرة أنثى. وخلّف ثلاثة وثلاثين ولداً.

❁❁❁

- **ولو لم يكن في الزواج إلّا هــذه الغنائم: (أو ولد صالح يدعو له) لكانت شيئاً جميلاً في ساحات رجل!.**

وأكثر هؤلاء النســاء أثراً وأعظمهن جاهاً فاطمة بنت رسول الله ﷺ ،وقد أنجبت له الحسن، والحسين، ومحسن، وأم كلثوم، وزينب نسل رسول الله ﷺ .

ولم يكن الزواج يوماً شــؤماً في تاريــخ ذلك الجيل، وعقبة كؤوداً أمام تاريخ أولئك الكبار!.

تزوّج هذا الإمام بتسع نسوة، وكان مثار التاريخ وذاكرة الأيام، وتحديات ذلك الواقع.

وفي تاريخنا اليوم من تزوَّج الثانية فترك مشروعه، أو انشغل عنه، أو تبددت مساحة الأوقات لديه، أو ترك مكتبته وتخلَّى عن علاقته بالمشروع، وذهب في غياهب تلك المسؤوليات، والتوازن عزيز، وحُمّال رايات الأمة أحوج ما يكونون إلى ذلك المعنى الكبير.

***





صفاته الخلقية

كان ربعة من الرجال أقرب إلى القصر، أدعج العينين، حســـن الوجه، ضخم البطن، عريض المنكبين، أصلع، ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، كبير اللحية.

❁ ❁ ❁

• ولولا أن الصفات الجسدية تصوّر لنا صاحب التاريخ ونتخيّل من خلال تلك الصورة ملاحــم تلك البطولات لما كانت حقيقة بحبر قلم، ولا بجزء من زمن إنسان، وما يصنع بها صاحبها، وليس لها أثر لا في دنيا ولا دين؟!.

وكم من قبيح صورة خَلّد في العالمين الذكريات! وكم من بهيج صورة ذهب حطباً لنار جهنم! واليوم يصرف على عمليات التجميــل لرجالٍ آلاف الريــالات! مؤلم أن يتحوّل شباب هذه الأمة إلى طوابير أمام هذه الأمكنة، ويتم تقويم شباب المجد والتاريخ على صورة وشكل وجسد!.



ماذا بقي للأمة اليوم وجزء كبير من شبابها يقف أمام المرآة ساعات ليخرج بالصورة التي يريد! باتت الصورة اليوم تأخذ حظَّها في كثير من مشاريع الأمة؛ فيوظَّف بها، ويُزوَّج لها، ويكافأ من أجلها، وغابت كثير من المعاني الكبار من أجل هذا الظاهر في واقع اليوم.







إسلامه ومواقفه

أسلم مبكِّراً وهو ابن عشر سنين لم يبلغ الحلم بعد، وشارك النبيَّ ﷺ في طوافه على القبائل.

عزم النبيُّ ﷺ على الهجرة، وترك مكة، واستقبل المدينة، وبلغ قريشاً خبرُ تلك الرحلة، فاجتمعوا في دار الندوة، وأجمعوا على قتله والتخلُّص منه ﷺ قبل خروجه، وتآمروا على وأد أحلامه وهو على فراش نومه، فدبَّر النبيُّ ﷺ أمراً خرج به من تبعات تلك الخطة، فأمر عليّاً رضي الله عنه أن يبقى تلك الليلة في فراشه، وقَبِل ذلك الفتى بالعَرْض، واستقبل الخطر، ورضي أن يكون جنديّاً في ساحات تلك المساحة، وفي هذا المشهد من معاني البطولة ما فيه.

❁ ❁ ❁

• إن شاباً يعلم ما تكنه قريش لرسول الله ﷺ، وما يستجيش في قلوبها عليه؛ وهو الذي أغار على دينها، وشتت جمعها، وقلب الدائرةَ عليها، ثم يرضى أن يكون مكانه ﷺ تلك الليلة، وهو يعلم ما يُكلِّفه المنام في ذلك المكان المرقوب؛ **لهو شاب يصلح أن يكون ميراثاً للأمة التي يُراد لها أن تكون ذات شأن في قادم الأيام.**

• **النجباء جزء في تاريخ الأمة! واكتشافهم مسؤولية الكبار!** وكم من صغير نجيب! وكم من كبير استقطع أوقاتاً من برامج ومشروعات الأمة ولم يكتب لها حظَّها المأمول! وواجب المحاضن اليوم أن تُعنى بالنجباء، وأن تستقطبهم لهذه البرامج، وأن تتفنن في محاولة التأثير عليهم ليكونوا صُنَّاعاً للحياة في مستقبل الأيام.

يا رعى الله ليلةً كان فيها هذا الفتى مثارَ التاريخ، ومسار تحوُّلٍ في مسيرته، ونقطة ارتكاز في آماله التي كان يحلم بها يوماً ما.

• إنك حين تتأمَّل أولئك الذين يشاركون في الجهاد اليوم، ويدفعون بأنفسهم لحياض الموت، ويتقدَّمون لمساحات الدماء دون أدنى تردُّد؛ تدرك وبعين الغبطة أن هؤلاء هم كنز الأمة ورجالها ومجدها المثير في واقع



الأحداث.. **واســـتيعاب أصحاب الطاقات هؤلاء وتوجيههم والعناية بهم، واســـتثمار قدراتهم وطاقاتهم في مثل هذا الباب الذي تحتاجه الأمة؛ ضـــرورة ينبغي أن توجه لها الأموال والطاقات والجهود.**

وما نراه اليوم من انحراف أحـــاط بهذه الطاقات نوع من ذكاء العدو وقدرته على اســـتثمارهم في مشاريعه التي قوّض بها جزءاً من مدخرات الأمة وطاقاتها، واســـتطاع أن يواجه الأمة بذات المقدرات التي فرطت فيها مع الأيام.

ثمة طاقـــات فائضة إن لـــم تســـتوعب وإلّا واجهت الانحراف كحل اضطراري لتفريـــغ تلك القدرات في غير مظانِّها! والحلول لا تتم فـــي انتظار نتائج ذلك الانحراف، ومن ثم توجيه أسبابه إلى أصول الأمة ومقدراتها ومناهجها كما نرى ذلك جليّاً في واقـــع اليوم، وحرمان الأمة من هذه الطاقات بســـجنها أو قتلها وإن كانت الشـــريعة تمنح لكل واقعة حكمها؛ إلّا أن من الحرمان أن نظل ننتظر مفاسد هذه الطاقات وتشويه مكاسب الأمة وإراقة دماء الأبرياء، وإشاعة الفوضى، ثم نبقى في دوائر لا حظّ لها في الإصلاح.

- هكذا هي الجندية التي ينشدها الإسلام في رجاله! هكذا هي ملاحم البطولة التي ينتظرها الإسلام من أفراده!

الانتماء لهذا الديـــن مُكْلف، وكون الإنســـان فرداً في منظومته عليه أن يتحمّل تكاليفه، وأن يشـــارك في رفع رايته، وأن يبذل له ما يدفع به إلى غاياته.

كان علي رضي الله عنه يدرك هذا المعنى، ويعلم أن الانتساب لهذا الدين ليس مجرد زيادة في عـــدده، وإنما متانة في تاريخه، ومســـاحة بهيجة في واقعه! ومـــا يُغْني الأمة في منتســـب لها ليس ســـوى زيادة في عددهـــا المرقوم! وما مشكلة الأمة اليوم إلا تلك الأعداد التي تزيد في عددها، لكنها لا توسّع في مساحة همومها وواقعها «**ولكنكم غثاء كغثاء السيل**».

- **الانتساب لهذا الدين مسؤولية لها تبعات، وكل فرد محسوب عدداً على الأمة يجب أن يشارك في نهضتها**، وأن يقوم بجزء من واجباتها، وأن يتحمّل تكاليف ذلك الطريق مهما كانت تبعات ذلك الانتساب.

كان ذلـــك الجيل يعـــي دوره، ويدرك معنى انتســـابه، ويشـــارك مأجوراً في مدِّ تلك المســـاحات، وكان العدو في المقابل يدرك أن إسلام فرد ليست مجرد زيادة في عدده، وإنما لُحمة وقوة في صفِّه ومســـاحته، ولذلك تثور ثائرته، وتقوم قيامته بمجرَّد خبر منضمٍّ إلى لوائه!.

• **مؤسف لدرجة الألم أن ترى عضواً في العدد العام للإسلام لا أثر له في مساحة همومه، ولا جهد له في مد واقعه! فقط ينضم مأجوراً لتلك المساحة عدداً فحسب.**

واشـــوقاه لشاب يجري أثره في مســـاحات دينه وواقعه كما يجري الدم الحر في جسد صاحبه!.

أين أنتم يا صنّاع الحياة! هذا علي رضي الله تعالى عنه في أيام شبابه يصنع للإســـلام ملحمـــة؛ فمـــا أنتـــم صانعـــون يا كبار! ما مشـــاريعكم التي تمدون بها في هموم دينكم، وتوسِّعون بها ساحات مجدكم، وتكتبون بها حظ هذه الأمة من النصر والتمكين مع الأيام؟!..

• **الانتساب للإسلام شيء، والتضحية له شيء آخر!**

علي رضي الله تعالى عنه لا يشارك هنا بفكرة تدعم دينه ورسالته ومنهجه أو مشروع يمد في مساحة ذلك الواقع، كلا! وإنما يشارك بروحه، ويقدّم نفسه فداءً لهذا الدين، وفرق كبير بين من يهب للأمة فكرة أو جهداً، أو مســـاحة، أو حتى مشـــروعاً، ومن يهب نفسه فداءً لتلك الهموم!.

كان ذلك الجيـــل يعي جيّداً معنى كونه مســـلماً، وكان العدو في المقابل يعرف ذلك تماماً، ويســـعى في الحيلولة

دون ذلك الانتساب. وبقدر ما يفرح الإنسان اليوم بأسراب العائدين والمهتدين، يدرك طول المسافة الفاصلة بين هؤلاء والأماني المنتظرة منهم لصالح الإسلام!..

- **أين تشارك؟ وما المساحة التي تشغلها من هموم هذا الدين؟ وما موقعك؟ تلك أسئلة تجيب عليها أمانيك وهمومك ومشروعك ومساحات جهدك!..**

علي ﵁ أنابه صاحب الراية في موضعه، وأوكل إليه إيقاد مصباح تلك الرسالة، وتحمَّل وهو في باكر عمره أن يكون فداء تلك الهموم والأماني العظام!.

وأنت حيث تضع نفسك! إياك أن تقول يوماً ما: أنا هنا وأستحق كذا. تاريخك ومشروعك وجهدك هو الذي يصنفك، وكن كعلي ﵁ حيث وضعه الإسلام! المهم أن يتوسّع الإسلام حتى لو كان الثمن نفسك ودمك!..

***





جهاده

كان شجاعاً بطلاً مثيراً في واقعه، شهد مع رسول الله ﷺ كل المشاهد، وكان صاحب الراية في أكثرها؛ عدا تبوك حين استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة.

❁ ❁ ❁

• **الالتزام أثمن ما في صُنّاع الحياة!** تُشرق شمس الرسالة في وجه علي رضي الله عنه، فتشرق مباهج العزة، ويمضي كالمصباح الذي يبدِّد ظلام الليل!.

لم يتخلّف عن غزوة في تاريخه، وكانت رايته خفّاقة في كل تلك المشاهد التي عاشها، ومن أدرك مواطن العزِّ لزمها بفخر!.

ما أثمن الالتزام! وإذا رأيتَ بوارق المجد فإياك والتخلّف!..



مثيرة هذه السيرة التي لم تثبت لنا في موقف تخلّف فيها هذا الكبير عن ساحات الشرف، وما زال يدفع بنفسه لمواطن التحديات، ويأبى أن يكون يوماً في عداد المتخلّفين، ولم يتخلّف إلا عن تبوك حين أشار صاحب الراية أنه يحتاجه خليفة على بعض موارد الأمة هناك.. وإذا رأيت هذا الخُلق في سيرة إنسان فادفع به في معارك الحياة يخرج في النهاية كالذهب لا تضره النار!.

واشوقاه للمرابط على مشاريعه، ومواعيده، وصاحب الراية في أحداث الحياة كل يوم!.. مؤسف لدرجة الألم هذا التخلّف الذي يعيشه الكبار، والقادة، وشباب الأمة، وذروة سنامها.

مؤسف أن ترى صاحب مشروع في ذيل القائمة في حضور منشط أو برنامج ومشروع، أو تراه متخلّفاً في إنهاء تكاليف ما أوكل إليه، أو لا تراه في الصفوف الأُوَّل من نزال معارك الحياة.

وأشد من ذلك الأسف من يكتب جزءاً من مشروع أمته ويرابط على غاية وهو في آخر الصفوف في صلاة الجماعة ومن يفوتهم حظُّ الجُمَع كل أسبوع، وإذا رأيت القوم في نزال ظمأ الهواجر، والصفوف الأُوَل، ورايات المشاريع؛ لم

تجده في طلائع صفوفها، ولا في صدور ســاحاتها، ولا في مقتبل مباهجها؛ فأي أمل يرجوه لنفسه أو ترجوه منه أمتُه في قادم أيامها؟!..

واشــوقاه للمرابطيــن في ســاحات المشــاريع ودوائر التأثير، وأصحاب الرايات في كل موطن أمل وتاريخ أمة!..

يعجبني الالتزام في شخصيات الكبار، وثمة أفراد من سماتهم أنهم لا يتخلَّفون مهما كانت الظروف والأحداث التي تعصف بها الحياة، ومثل هؤلاء بدور في السماء.







مواقفه في الغزوات

١ ـ في يوم بدر كان من الثلاثة الأوائل الذين خرجوا لساحة المعركة لمبارزة جنود الباطل: عتبة بن ربيعة، وأخيه شيبة، وابنه الوليد، خرج هؤلاء الثلاثة لمبارزة أمثالهم قبل بدء المعركة، وخرج لهم ثلاثة من الأنصار؛ فأبى عتبةُ إلَّا بني عمه من بني عبد المطلب.

❁ ❁ ❁

• كان عتبة يريد أن يكسر شوكة الإسلام، ويبدد طاقاته، ويهزمه نفسيّاً قبل أن يثور غبار المعركة في ساحات بدر، ولم يدرك أن جنود الإسلام أمتن منه في الولاء، وأقدر منه على المبادرة، ولو اكتفى بالأنصار لكان خيراً له؛ لكنَّ اللّٰه تعالى يسوق له يوماً لا يمحوهُ التاريخ!..

أمر النبي ﷺ صاحب الراية، والبطل، وفخر الأمة، شابَّها المتين بقيمه؛ عليّاً رضي الله تعالى عنه بالخروج مع حمزة وعبيدة بن

الحــارث، وما هــي إلا دقائق وصاحبه يشــخب دمــاً أمام الناظرين.. وتركه يُعفّر وجهه في ســاحات الخزي والعار، وكذلك يصنع الأبطال! والبدايات لا يصلح لها إلا الكبار! والرايات لا يحسن رفعها إلا الشجعان!.

وكم في طاقات الأمة اليوم من يثير أحلامها! كثيرة هي طاقات الأمة التي لم تســتوعب في مشــروع وفكرة وبرنامج متين! كثيرة هي الطاقات التي لم تعد تســتوعب المدرســة ولم تســتوعبها البرامج المبثوثة في الســاحة، فضاعت أو كادت!.

إن مسؤولية الأمة اليوم كبيرة في احتواء هذه الجموع، وإيجاد المحاضن التي تُعنى بتربيتها وتأهيلها حتى تصبح لبنات جادة في مشروعها القادم في مستقبل الأيام.

❁ ❁ ❁

٢ ـ استلم علي رضي الله تعالى عنه يوم أُحد الراية من مصعب بن عمير بعد وداعه الدنيا، واستقبل بها الحياة، وثبت مع من ثبتوا، وخاض بها رحلة النصر، وكسر من خلالها شوكة الباطل.

تبختر عمرو بن ود يوم الخنــدق، وكان يقوَّم بألف رجل، ووقف وهو مقنّع بالحديد ونادى في أرض المعركة



والنزال: من يبـــارز؟.. من يخرج إلى رحـــى الحروب، ومساحات الشجعان!.. وأخذ يرتجز ويقول:

ولقد بُححتُ مــن النداء لجمعهم هل مــن مبارزْ

ووقفت إذ جَبُن المشـــجَّعُ موقــفَ القِــرْنِ المناجِزْ

ولـــذاك إنـــي لــم أزلْ متســرّعاً قبــل الهزاهز

إنَّ الشـــجاعةَ فـــي الفتى والجودَ من خيـــرِ الغرائزْ

فقام إليه صاحب الراية، وموقد ظلام العتمة، البطل الشجاع علي بن أبي طالب، وهو يقول:

لا تعجلـــنَّ فقـــد أتـــاك مجيبُ صوتكَ غير عاجزْ

فـــي نـــيـــةٍ وبـــصـــيـــرةٍ والصدقُ منجـــى كل فائزْ

إنِّـــي لأرجـــو أن أقـيـم عليـــك نائحـــةَ الجنائزْ

مـــن ضـــربـــةٍ نـــجـــلاءَ يبقى ذكرُها عند الهزاهزْ

قال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي! قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: يا بن أخي، مِنْ أعمامك من هو أســـن منك؛ فإني أكره أن أهريق دمك! فقال له علي: ولكني والله لا أكره أن أهريق دمك!..

فغضب عمرو ونزل وسل ســـيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واســـتقبله عليٌّ بِدَرَقَتِهِ، فضربه

عمرو في درقته فقدّها وأثبت فيها السـيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه عليٌّ على حبل عاتقه فسقط، وثار العجاج، وسمع رسولُ الله ﷺ التكبيرَ فعرف المسلمون أن علياً قد قتله ثم أنشأ علي يقول:

نَصَرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيهِ ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابِي
فصدرتُ حيثُ تركتُهُ متجدِّلاً كالجذعِ بين دكادكٍ وروابي
وعففتُ عن أثوابِهِ ولو أنني كنتُ المقطَّرَ بزَّني أثوابي
لا تحسبنَّ اللّهَ خاذلَ دينِهِ ونبيِّهِ يا معشـرَ الأحزابِ

❁ ❁ ❁

- **يا سقى الله أمةً فيها مثل هؤلاء الرجال! بمثل هذا الشـجاع يُبدد ظلام الليل، وتبني الأمـةُ صروحَها في مستقبل الأيام، ويموت العدو وهناً أمام عزائم الرجال.**

هذا هو تاريخنا، وهذه هي قدوتنـا، وهذا هو ماضينا الجميل، وهذه هي مواقفنا في التاريخ.. ليعلم العالم اليوم أننا من نسل هؤلاء الشرفاء، وحفدة تلك الأجيال الكبار.. ونحن بضعة منهم، ومن يعـرف له تاريخاً حافلاً فليخرجه أمام الأجيال، أما نحن فهذا تاريخنا، وهذه مشاهد آبائنا، وهذه مواقف البطولات التي نستذكرها في كل موقف يبرز لنا فيه العدو يوماً ما.

يفوت كثيرين اليوم هذه المعاني كما فات ابن ود، وظن أنه سيهدر دماء الكبار دون مقابل، ولو عرف أن دمه سيسقي الأرض لتصلب أمام أقدام الشرفاء ما تقدم، ولو استبقى نفسه في ذيل قومه لكان خيراً ألف مرة من أن يواجه عواصف التاريخ.

***

٣ ـ وفي غزوة خيبر قال النبي ﷺ : «لأعطين الراية رجلاً يفتح الله تعالى عليه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»؛ فكان علي بن أبي طالب هو ذلك الرجل!.

وبرز مرحب اليهودي من أحد حصون خيبر وهو يرتجز:

قد علمت خيبرُ أني مَرْحَبُ شاكي السلاحِ بطلٌ مجرَّبُ

إذا الحروبُ أقبلتْ تَلَهَّبُ

فقام إليه علي بن أبي طالب وهو يزأر كزئير الأسد ويرتجز:

أنا الذي سمَّتْني أمي حيدره كليثِ غاباتٍ كريهِ المَنْظَرَه

أوفيهم بالصَّاعِ كيلَ السندرهْ

وانقض علـــى مرحب فضرب رأســه فقتله، وجُعل وَسِيدَ التراب!.

***

• **وليس لرايات الباطـــل إلا رايات الحق، ولا لرجال الفساد إلا صُنّاع الحياة!** ماذا لو لم يجد مرحب مثل هذا الفتى في الطريـق! ماذا لو لم يكن للإســلام مثل هؤلاء الرجال! إنما الإســلام برجاله، والحــق بأصحابه، وهؤلاء الأفراد هم مســاحة الإسلام، وروحه الوثابة في الأرض، ومستقبل أيامه وأحلامه.

***

٤ ـ وفي حنين كان مع الثلة التـــي بقيت وثبتت مع رسول الله ﷺ، وواجه الباطل في أحلك الظروف، ورفض أن يتخلَّى عن مســـاحة التحديات، وبقي ثابتاً حتى عاد الجيش وكتب الله تعالى النصرَ من جديد.

***

• هذه مشــاهد الإســلام ما تزال صفحاتها شــاهدة بتاريخ هذا الشـــجاع، وطافحة بذكرياته، وما تجد ملحمة لهذا الدين، وموطن عز وتاريخ وبطولة إلا وتجده **في** بداية



تلك الذكريات، وأول تلك السطور، **والأمة اليوم أحوج ما تكون للقدوات، وأبهج ما تكون بمساحات مشاريعهم وإبداعاتهم في الحياة.**

- **مؤلم اليوم أن يكون ملعب الكرة، ومساحة المسرح؛ هي المساحات التي يستقي منها شبابنا قدواتهم وآمالهم.** باتت الكرة اليوم كل شيء، وشارك المسرح في صناعة البهجة لدى أجيال الأمة، وبات أحلام الكثيرين.

وعلى الأمة أن تفيق من سباتها، وتعيد مشاهد هذه القدوات عبر منبر الجمعة والكلمة والكتاب والقصة الملهمة والرواية المثيرة ومسرح التمثيل، ومساحات الإعلام! والخطاب هنا لكل صانع حلم، وصاحب مساحة، ورائد دائرة تأثير، ومسؤول في جانب من شؤون الحياة.. كل هؤلاء مسؤولون عن إعادة وهج هذه القدوات، ومد مساحات تأثيرها، وخلق مساحات البهجة في واقع الأمة من خلالها في قادم الأيام.

- **التاريخ تراث هذه الأمة ومجدها وأثرها في زمان الأحداث، وهو المساحة التي يجب أن يتربَّى عليها شباب هذه الأمة وطاقاتها القادمة!** وعلي رضي الله تعالى عنه بمثل هذه المعالم التي مرت أنموذج يصلح أن يكون في سطور ذلك التاريخ

لتتربى الأمة على أحداث سيرته، وتاريخه الكبير مع الأيام.

فديتك يا أبا الحسن! فديتُ وجهاً وجسداً وروحاً كانت ناراً مشتعلة في وجه كل عدو، وقبضة حديد أمام كل متكبر! فديتك يا بطلاً تُعَلِّمنا أن الشـجاعة إن تكن في قصة رجل وإلا فلا مفروح بشيء من تاريخه.

ويا سـقى الله تعالى أثـراً خطته قدمـك أو يدك أو مراسم الشـجاعة والبطولة في تاريخك، وهو اليوم جزء كبير ومشهد بهيج في تاريخنا، وتنطلق منه فصول عزتنا في الحياة.







صفاته

كان رضي الله عنه من علماء الصحابة الكبار، وعُدَّ رضي الله عنه من أهل الفتيا، بل في المرتبة الثالثة بين كبار المفتين في ذلك الزمان.

***

- **وقدر كل إنسان ما يُحْسِن!** ومن أحسنَ فنّاً، أو علماً، أو مهارة؛ استطاع أن يبسط تأثيره في ساحاتها، وكوّن له شأناً مع الأيام.

مشكلة كثير من أجيال الأمة وطاقاتها: أنها تملك مواهب وقدرات وإمكانات كبيرة وكثيرة جدّاً، لكنها لم تتمكن بعدُ من اكتشاف هذه الطاقات، وتفعيل هذه الموارد، وتمكين هذه القدرات، وما زالت تراوح على أماني؛ لا تصنع لها جديداً مع الأيام.

أحوج ما يكون الإنسان اليوم إلى اكتشاف قدراته وطاقاته وإمكاناته، والعمل على صناعة شأنه من خلالها.

ما أحوج الأمة اليوم إلى العلم! ولن تستطيع أن تبلغ الغايات التي تريد إلا من خلال هذا الشأن، وهو رأس الأمر وذروة سنامه.

واكتشاف طاقات من أبناء الأمة قادرة على التفاعل مع هذا المشروع، وتجد أنفاسها في ساحاته؛ من أنفع ما يكون لمستقبلها وأيام تحدياتها.

• **إن مشكلة أبناء الأمة اليوم في عدم تحرير هذه الطاقات، وضعف اكتشاف مواهبها وقدراتها**، وما زالت تراوح في مساحات هامشية لا علاقة لها بالبناء، ولا أثر لها في التمكين.

ولو أن كل فرد تفرّغ لفهم طاقاته وإمكاناته، وتعرَّف على مهاراته، واستطاع توظيفها في مشروع عمر؛ لصنع حكايات مثيرة في واقع الأيام.

❁ ❁ ❁





ثمن العلم

وكان ﷺ من أحرص النـــاس على تطبيق ما تعلّمه، وهذا - والله - الفقــه والعلم والدين، حيــن قدم عليه النبي ﷺ وزوّجــه فاطمة، وعلّمهمـــا أذكار النوم؛ قال: ما تركته منذ ســمعته من النبي ﷺ، قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين.

وكان يقول: تعلّموا العلم تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله.

وكـان يردد: العلم يهتــف بالعمـل؛ فـإن أجـابـه وإلّا ارتحل.

٭٭٭

- **هكذا هم القدوات! حين يتحوّل الواحد إلى صورة تطبيقية لمفاهيمه وأفكاره وموارده التي يعيشها كل يوم.**

يعلمنا هذا الإمام رضــي الله تعالى عنه وأرضاه أن ثمن العلم، ليســت في كثرة محفــوظ أو مقروء، كلا!

وإنما في تطبيق ذلك المحفوظ والمقروء! وفي زمن وسائل التواصل الاجتماعي ما أكثر ما يعرض على عقولنا من العلم، وفي المقابل ما أقل ما يحظى بالتطبيق! الفقه كل الفقه أن تتحوّل المعرفة التي نقرؤها إلى منهج عملي تطبيقي يأخذ حظَّه من واقع صاحبه، ويستولي على ساحات فكره وعمله، ولو استطاع الواحد منا أن يحوِّل ما يقرؤه إلى نموذج من العمل؛ لتغيَّرت معالم حياتنا بأسرها.

والعلم إذا لم يتحوّل إلى ميدان التجربة والتطبيق والممارسة، وإلّا صار قاطعاً للطريق، سارقاً للأوقات، ومبدداً للأحلام.

- **إن الأمة اليوم تعيش أزمة تطبيق**، وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من خلال هذه القدوة المثيرة يرسم لنا منهجاً في كيفية التعامل مع العلم للدرجة التي يدخل أرض المعركة بكل ما فيها من تفاصيل، ويرسم فيها صورة العمل بالعلم إلى أقصى مدى، يحافظ على أذكار النوم التي ألقاها إليه النبي ﷺ ليلة على فراشه الوثير! ويخرج بهذا الذكر من مساحة الراحة إلى مساحة العناء، ويدير شأنه في أكثر اللحظات حرجاً ومشقة! ويكتب أن بقاء العلم مرهون بالعمل: (**العلم يهتف بالعمل؛ فإن أجابه وإلّا ارتحل!**).





تقواه وورعه

وكان رضي الله عنه زاهداً؛ جاءه ذات مرة من يقول له: إن بيت مال المسلمين قد امتلأ. فقام يتوكأ وهو يقول: الله أكبر! يا صفراء ويا بيضاء غري غيري. فأمــر أن يُنادَى على الناس، وأعطاهم جميع ما فيه من مال.

وأشار إليه أحد المسلمين يوماً بأن يشارك المسلمين في بيت المال؛ لأنَّ له فيه شــيئاً، فقال: والله ما أرزؤكم من مالكم شــيئاً، وإنها لقطيفتي التــي خرجت بها من منزلي، أو قال: من المدينة.

وكان لا يبيع ولا يشتري ممَّا يعرفونه حتى لا يراعى لمنصبه أو لمكانته، وقال ذات مرة: لا يحل للخليفة من مال الله تعالــى إلا قصعتان: قصعة يأكلهــا هو وأهله، وقصعة يضعها بين يدي الناس.

وكان يتحرّج في أكله؛ يأكل ويقول: لا أحب أن يدخل بطني إلَّا ما أعلم.

***



• **وكذلك تصنع التقوى! تُعـــرض الدنيا بين يديه ويدعها تعففاً وخشية!** ويعيش كما يعيش عامة الناس وهو الوالي وحاكم زمانه.

كان الواحد منهم يعد المسؤولية بمثابة الواجب والمساحة التي يخدم بها دينه فحســـب! لم تكن المسؤوليات عند هؤلاء حقّاً مســـتحقّاً وحمى مباحاً يجول فيـــه الواحد ويتصرّف كيف يشاء! بل كانوا يعدونها من المســـؤوليات الكبرى، والولايات العظمى، والمساحات الممكنة لخدمة دين اللّٰه تعالى.

والأمة اليوم أحـــوج ما تكون إلى هـــذا الفقه من ذي قبل! الولاة والحكام والمسؤولون أيّاً كانت مسؤوليتهم تقع عليهم تبعات الأحداث، والمسؤوليات تصنع فارقاً، وتبسط مواطن القدوات، وتأتي بأحلام كثيرة في واقع الأيام.

وما رأيت مثل زماننا اغتيلت مقـــدرات الأمة، وبُددت ثرواتها، واجتيح حماها على يد قـــوم لا يتقون اللّٰه تعالى في مثل هذه المســـؤوليات، وبلغ الفســـاد المالي ذروته، وتحوّل كثيرون إلى قطاع طريق.

وإذا خليت القلـــوب من تقوى اللّٰه تعالـــى؛ فلا ترقب منها إلا الفساد، واللّٰه المستعان!.

***





١٠ تواضعه

وكان ﷺ متواضعاً؛ ركب حماراً ذات مرة ودلى رجليه ثم قال لنفسه: أنا الذي أهنت الدنيا. وكأنه يستشعر الحرب الدائرة بينه وبينها ويذكرها لحظات الانتصار.

واشترى مرة تمراً ووضعه في لحافه، فقال له من حوله: نحمل عنك يا أمير المؤمنين! فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

وكان يقبِّل يدَ عمِّه العباس ويقول: يا عم ارضَ عني.

وكان يقول: تواضع المرء يكرمه.

* * *

- وهو بهذا يجدد منهج الوحي في تكريس هذا المعنى، ويبعث سيرة رسوله ﷺ في واقع الأحداث.

والفقه في بعث الوحي، وتجديد تطبيقاته، وتكوين صوره، وإشاعة مفاهيمه؛ حتى لا يتحوّل مع

الأيام إلى معرفة لا علاقة لها بسلوكيات قرائها، ولا بواقعهم في الحياة.

كلما كبر الإنسان أدرك ما للآخرين من فضل! وعرف واجب من حوله، وقام بحقهم، وازدانت حياته بالتواضع، وبقي موطناً لمكارم الأخلاق!.

ما أقبح الكِبْر! وما أكثر شرفاته التي تتحدّر عنها الخيرات!.

إذا رزق الإنسان التواضع صار كالأرض المطمئنة التي تأتيها الخيرات من كل مكان.

ما زالت الأمة تحتاج صوراً كثيرة في هذا الجانب، وفرق كبير بين حرف يُقرأ ولكنه لا يجد من يقوم بأثقاله، وحرف يعرض تجربة مليئة بأحداث العمل والإبداع.

يرسب كثير من المسؤولين اليوم والكبار ومن آتاه الله تعالى شيئاً في هذا المفهوم، ولا ينتبهون إلا وقد تحدَّرت عنهم الخيرات، وفاتهم من الخير بقدر فواته من واقعهم وحياتهم.

والأمة في شوق كبير إلى من يكون صاحب جاه وسلطان ومسؤولية ثم يكون منخفضاً؛ كلٌّ يأتي إليه ويأخذ منه مناه.

❁ ❁ ❁





١١ جـوده وكـرمـه

وكان رضي الله تعالى عنه جواداً كريماً؛ ســـأله رجل مالاً فدفع إليه مئة دينار وحلة، فقال له: حلـــة يا أمير المؤمنين ومئة دينار! قال: نعم، سمعتُ رســـول الله ﷺ يقول: «أنزلوا الناس منازلهم».

وكان يفرح بقدوم الضيـــف، ويتفقّد إخوانه في الله تعالى ويكرمهم، وقال: لعشـــرون درهماً أعطيها أخي في الله تعالى أحب إليّ من أن أتصدّق بمئة درهم.

وأوقف أوقافاً وهو حي وكتب فيها كتاباً.

* * *

- وإذا لم يكن المال لمثل هذه المعاني فلا مفروح به في حق صاحبه.. وما نصنع بورق لا يغني في فضيلة ولا يسد حاجة ولا يقوم في النائبات، وفي الوحي: «لا حسد إلَّا في اثنتين: ...ورجل آتاه الله مـــالاً فهو ينفقه على

هلكته» وما عداه أنانية تشرب من قلب صاحبها ومشاعره وعواطفه حتى الثمالة، ولا تبقي له شعوراً يحسن به الالتفات إلى الجوعى والمحتاجين من حوله.

• وكان يتفقّد إخوانه في الله تعالى ويكرمهم، وقال: **لعشرون درهماً أعطيها أخي في الله تعالى أحب إليّ من أن أتصدّق بمئة درهم.** وهذا هو فقه الصحبة والإخاء! وكم من ممنون بهذا المعنى مسرور بآثاره..! رأيت أخاً يجري في إسعاد أخيه، ويبذل له من ماله ما يسعد به ولو على حساب نفسه، ورأيتُ آخرين يستثقلون كل شيء! ما أبعد الفرق!.

كثير من إخواننا يحتاجون إلى شيء يستعينون به على طاعة الله تعالى، وعون هؤلاء والوقوف معهم وتقصّد إعانتهم من أعظم القرب إلى الله. وإذا لم يجر هذا المعنى في نفوس الإخوة والصحب والأصدقاء فلا يطيب العيش في تلك المساحة لإنسان.

كم من موقف إخاء أحال الحياة إلى مشهد وفاء! وكم من أنانية حوّلت تلك المشاهد إلى صحراء!.. وإلى الله المشتكى، ومنه العون والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

• **وأوقف أوقافاً وهو حي وكتب فيها كتاباً**، ومن فقه كل عاقل أن يترك ما يخلّد به ذكره في الدارين! **وما ينفع مالٌ**



صاحبَه وهو لم يدفع به لآمال تلك الدار! ما يصنع له المال إذا لم يترك به آثاراً تجري له في الدارين!.

كم من مال كثير ضاع في أيدي الورثة، وكان سبباً في الخلاف والنزاع! وكم من مال قليل أورد صاحبه للخيرات!.

أوقفت امرأة قدراً، وصار يتناقـل بين الناس ليطبخوا فيه أيام حاجتهم، ثم اشتراه تاجر بمئة ألف وفاءً لصاحبة الوقف، واشـترى به أرضاً، وعائدها اليوم بالملايين، وإذا صدقت النية فلا تسل بعد ذلك عن شيء.

رأيتُ كثيراً من التجـار يعيش لجمع هـذا المال، ثم يرحل في لحظة فلا يكرمه منه أبناؤه بعد رحيله بشـيء.. وذهب في شـهواتهم ودنياهم، وقد لا يجـود الحال بدعوة صالحة فضلاً أن ينتظر من ذلك العرق شـيئاً! وهو الذي صنع ذلك الواقع وأراده، ومن استكثر شيئاً على الله تعالى عاقبه بالحرمان.

ما أحوج العاقل اليوم أن يوقف أوقافاً وهو حي، وإن لم يكن فلا أقل من أن يكتب في وصيته ما يجري عليه أثره في الدارين. وفي الحديث: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث.. أو صدقة جارية**».

***



عبادته

وكان رضي الله عنه عابداً تقيّاً، وصفه راءٍ فقال: وأشـــهد بالله تعالـــى لقد رأيته في بعـــض مواقفه وقـــد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه؛ يتململ في محرابه، قابضاً لحيته وهو يقول: يا ربنا يا ربنـــا.. ويردد للدنيا: أبي تغررت أم إليّ تشرفت؟ هيهات هيهات، غرّي غيري، قد بتتك ثلاثاً؛ فعمرك قصير، ومجلسك حقير، وخطرك يسير، آه من قلة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق.

ودخل عليه آخر وهو قائم يصلّـــي بالليل، فقال له: يا أمير المؤمنين! صوم بالنهار وسهر بالليل، وتعب فيما بين ذلك؟ فقال: ســـفر الآخرة طويل، فيحتاج إلى قطعه بسير الليل.

❁ ❁ ❁

• ومن تأمل في دنياه أدرك جمال هــذا المعنى وأثره ودوره في تأهيل صاحبه للحياة.

المتفوقون بحق هم المســتعلون على شهوات الدنيا.
وقمة الاستعلاء أن تزدلف الدنيا بين يديك ثم لا تلوي لها عنقاً. وكم من ساقط في حضيضها ولم يتدلَّ له منها سوى غصن رطيب!.

قليلة جــدّاً هذه المشــاهد في واقع النــاس في عصر الماديــات، وكل يلهــث وراء الدنيا في صــور لا تحصيها مشــاهد الحياة، وقد لا تظفر بزمانك بصــادق متخلٍّ عن زخارفها، مُدْبر عن شــهواتها، وما أقل من رأيت يعيد هذه الذكــرى، ويتضاءلون مــع الزمن. والله المســتعان، ومنه الحول والطول، وعليه التكلان.







وفـاتـه

بينما هو رضي الله تعالى عنه في الصلاة، عرض له ابن ملجم الخارجي فضربه بالسيف فجرحه، ثم نُقل إلى بيته وأوصى وصيته لأولاده، ثم أوصى وصيته العامة، ونهى رضي الله تعالى عنه عن المثلة بقاتله، وقال: احبسوا الرجل؛ فإن مت فاقتلوه، وإن أعِشْ فالجروح قصاص.

وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وثلاثة أيام، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، وصلّى عليه ابنه الحسن رضي الله تعالى عن الجميع.

***

- وهذه ساعة الموت لا مفر منها، تجري عليك وإن طال زمانك، وتلاحقك حتى في ملكك وفراشك الوثير، لحظة لا تعترف بكبير أو صغير، مسؤول أو غير مسؤول، صاحب جاه أو من رعاع الناس، تمضي إلى كل واحد فتوقف سيرته وتدفع به إلى لقاء ربه.

والمُوَفَّق من استعد لهذه اللحظة، وعمل لما بعد الموت، واستثمر ما بقي من عمره لتلك اللحظات، وكتب عند الوداع ذكريات للباقين.

• رغم كل الغصص التي يحملها الموت، والآلام التي يخلفها، والأحداث التي يتركها إلَّا أنه بمثابة المكافأة للعاملين في الحياة.. مكافأة لأولئك الذين كانوا مستيقظين لتلك اللحظة، منتظرين لها، موقنين بالرحيل.. مكافأة لتلك الآلام التي تعرَّضوا لها، والمصائب التي تحمَّلوها، والجهود التي بذلوها، والمشاريع التي رعوها حتى بلغت مداها.

فرق كبير جدّاً بين راحل عاش لنفسه، وآخر عاش لغيره.. وقد كان من الصحابة الأُوَل من يردد وهو على صبح وداع الحياة: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

• رحل علي رضي الله عنه بعد أن أجرى في الحياة أحداثاً، وأوقف أحداثاً أخرى.. رحل بعد أن بذل دمه وفاء لدينه، وترك سفحه على الأرض إلى موعد التكريم.. رحل بعد أن أوقف زحف الباطل، وسفك دماء أنصاره، ومد في مساحة الإسلام إلى أبعد مدى.. رحل بعد أن كوَّن للجهاد رايات، وصنع للأبطال موقعاً، وأرصد للحق هيبة ومكانة!.

يا سقى الله ليلة كان رضي الله تعالى عنه في سفح جبل وهو يحمل راية، أو في هجيع ليل وهو ينتظر شروق شمس المعركة، أو في نضال صاحب باطل قبل بداية المعركة.

واشوقاه إلى غبار ثار من أثر سيفه ووقع قدمه؛ نصر فيه الحقَّ ورفع مقامه وأعلى شأنه.

- **لكل إنسان نهاية، لكن ثمة فرق كبير بين نهاية ونهاية! وكل واحد منا مسؤول عن صناعة تلك النهاية.**

هذا يرحل وقد سطّر للأمة مشاهد ينوء بها رجال، وذاك يرحل ولم يستوفِ منه بيتُه مشهداً للحياة! ما أبعد الفرق!.

فرحم الله تعالى عليّاً ورضي عنه وجزاه الله تعالى ما جزى بطلاً وصاحب راية عن أمته، وجمعنا الله تعالى به في مشاهد التكريم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تم ولله الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً،

إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * *



الفهـرس

ثاني الخلفاء الراشدين

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثالث الخلفاء الراشدين

عثمان بن عفان رضي الله عنه

رابع الخلفاء الراشدين



